تجليات الحزن في شعر ابن الرومي
– دراسة في اللغة والانفعال –

م.م. أميد صائب عزكو لطيف

جامعة عقرة للعلوم التطبيقية/ كلية التربية/ قسم اللغة العربية

البريد الإلكتروني Email : amed.saib@auas.edu.krd

الكلمات المفتاحية: ابن الرومي، الحزن، الشعر العباسي، اللغة، التجربة الذاتية.

كيفية اقتباس البحث

لطيف ، أميد صائب عزكو، تجليات الحزن في شعر ابن الرومي – دراسة في اللغة والانفعال– ، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، كانون الثاني ٢٠٢٦،المجلد:١٦ ،العدد:١ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

Manifestations of sadness in Ibn al-Rumi's poetry – a study of language and emotion

Assistant teacher, Amed Saib, Azko Latif
Akre University of Applied Sciences / College of Education / Department of Arabic Language

Keywords : Ibn al-Rūmī, sorrow, Abbasid poetry, language, personal experience

How To Cite This Article
Azko Latif, Amed Saib, Manifestations of sadness in Ibn al-Rumi's poetry – a study of language and emotion, Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, January 2026,Volume:16,Issue 1.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract

This study aims to explore the manifestations of sorrow in the poetry of Ibn al-Rūmī through a linguistic and emotional analysis that seeks to highlight the dimensions of this phenomenon in his life and literary creativity. The research is structured into an introduction and two main chapters. The introduction provides insights into the title, followed by a discussion of the concept of sorrow in both linguistic and terminological contexts, with reference to the harsh circumstances Ibn al-Rūmī endured, which profoundly influenced his poetic experience. Sorrow emerged as one of the most salient features of his personality and literary production.

The first chapter investigates the various aspects of sorrow in his poetry, revealing that personal grief—stemming from his inner self, the loss of his dearest ones, and his persistent fear of the vicissitudes of time—occupied a central place in his poems. Alongside this, social

sorrow was also present, as he expressed the suffering of his community and the injustices, poverty, and deprivation it experienced. In this way, the poet reflected an authentic portrayal of both individual and collective anguish in his era.

The second chapter analyzes the language of sorrow in Ibn al-Rūmī's poetry, focusing on the vocabulary and syntactic structures he employed to convey his distress. Words associated with tears, death, and absence recur frequently, while his sentence constructions are marked by sharpness and fragmentation, all of which mirror the depth of his inner emotions.

The study concludes that sorrow in Ibn al-Rūmī's poetry was not a transient state, but rather a central axis of his poetic vision. It embodied the fusion of personal experience with collective concerns, making his poetry a faithful mirror of an anxious self and a turbulent reality. Thus, examining the language of sorrow in his poetry reveals a rich poetic energy imbued with human dimensions that transcend the boundaries of his time, resonating with readers across ages.

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن تجليات الحزن في شعر ابن الرومي من خلال دراسة لغوية وانفعالية تسعى إلى إبراز أبعاد هذه الظاهرة في حياته وإبداعه. وقد جاء البحث في تمهيد ومبحثين رئيسين؛ تناول التمهيد إضاءات حول العنوان، ثم عُرض مفهوم الحزن لغةً واصطلاحاً، مع إشارة إلى الظروف القاسية التي مرّ بها ابن الرومي وألقت بظلالها على تجربته الشعرية، حيث شكّل الحزن أحد أبرز ملامح شخصيته وأدبه. أما المبحث الأول فقد وقف على مظاهر الحزن في شعره، حيث تبيّن أن الحزن الذاتي الناتج عن ذاته، وفقد أعزّ الناس عليه، وخوفه الدائم من تقلّبات الزمن، كان له الحضور الأكبر في قصائده، إلى جانب الحزن الاجتماعي الذي عبّر فيه عن آلام مجتمعه وما شهده من ظلم وفقر وحرمان. وقد عكس الشاعر في هذه التجربة الوجدانية صورة صادقة لمعاناة الفرد والجماعة في عصره، حيث نلاحظ إن الشاعر اظهر حزنه على هيئة تذمر لحظي من الفقر او سوء حظه في طلب الرزق ثم يصل إلى نتيجة عابرة، بأن لاجدوى من هذا التعب في نهاية المطاف. وفي المبحث الثاني جرى تحليل لغة الحزن في شعر ابن الرومي، من خلال الألفاظ والتراكيب التي استخدمها للتعبير عن معاناته، حيث تكرّرت مفردات الدموع والموت والغياب، وصيغ تراكيب تتسم بالحدة والانكسار، بما يعكس عمق انفعاله الداخلي.

وقد خلص البحث إلى أن الحزن عند ابن الرومي لم يكن حالة عابرة، بل شكّل محوراً أساسياً في شعره، امتزجت فيه التجربة الذاتية بالهمّ الجمعي، فكان شعره مرآة صادقة لنفس قلقة وواقع مضطرب. ومن ثمّ، فإن دراسة لغة الحزن في شعره تكشف عن طاقة شعرية ثرية تحمل أبعاداً إنسانية تتجاوز حدود عصره لتظل قريبة من وجدان القارئ في كل زمان.

المقدمة

يُعدّ الشعر مرآةً صادقةً لانفعالات النفس الإنسانية وما يعتريها من حالات وجدانية، فهو ليس مجرد بناء لغوي جمالي، بل وعاء يحمل مكنونات الذات ويترجم أعمق مشاعرها وأصدق خلجاتها. ومن أبرز الانفعالات التي شغلت الشعراء على مرّ العصور: الحزن، إذ مثّل هذا الوجدان طاقةً تعبيرية خصبة جعلت النص الشعري أكثر قرباً من الإنسان وهمومه.

ويأتي ابن الرومي (٢٢١–٢٨٣هـ) في طليعة الشعراء الذين تجلّى في شعرهم الحزن بوصفه تجربة حياتية وفنية متكاملة، فقد عاش حياةً مضطربة مليئة بالمحن والقلق النفسي والاجتماعي، فانعكس ذلك بوضوح في نتاجه الشعري، حتى غدا الحزن سمتًا بارزًا في شخصيته وأسلوبه، متجاوزًا حدود الذات ليعبّر عن معاناة الآخر وما يحيط بالإنسان من قلق وجودي وشعور بالاغتراب.

أهداف البحث

ينبع هذا البحث الموسوم: (تجليات الحزن في شعر ابن الرومي – دراسة في اللغة والانفعال) من الحاجة إلى مقاربة الظاهرة الحزينة في شعر ابن الرومي، ويهدف إلى:

١.الكشف عن أنماط الحزن وتجلياته في التجربة الذاتية والاجتماعية للشاعر.

٢.إبراز البعد الدلالي والانفعالي للحزن في شعره.

٣.دراسة الآليات التعبيرية واللغوية التي اعتمد عليها في صياغة حزنه، من ألفاظ وتراكيب وصور فنية.

٤.بيان العلاقة بين المعاناة الفردية والهموم الجماعية في شعره.

٥.المساهمة في إغناء الدرس الأدبي عبر الجمع بين التحليل النفسي – الانفعالي والتحليل اللغوي – الأسلوبي.

هيكل البحث

يقوم البحث على هيكل متدرج يبدأ بـ تمهيد يضيء دلالة العنوان ويفتح أفق القراءة، ثم يعرض مفهوم الحزن لغةً واصطلاحًا، ويُبرز الملامح المحزنة في حياة ابن الرومي. بعد ذلك يتناول مظاهر الحزن في شعره ضمن مستويين:

الذاتي: المتمثل في تجربته الفردية ومعاناته الخاصة.

الاجتماعي: المرتبط بظروف عصره ومواقفه من الحياة والمجتمع.

ثم ينتقل البحث إلى دراسة لغة الحزن، عبر تحليل الألفاظ والتراكيب والصور الفنية التي جسّدت الانفعال، لإبراز خصوصيته الأسلوبية مقارنة بشعراء عصره.

الخاتمة

يخلص البحث إلى أن شعر ابن الرومي يمثل نموذجًا فنيًا مميزًا لتجليات الحزن، حيث التقت فيه التجربة الإنسانية العميقة مع الوسائط التعبيرية الرفيعة، ليعكس جدلية العلاقة بين اللغة والانفعال، وبين الذات الفردية والهمّ الجماعي، مما يمنحه فرادة في المشهد الشعري العباسي ويجعله جديرًا بمزيد من الدراسة والتحليل.

التمهيد: إضاءات حول العنوان

أولاً: مفهوم الحزن

يتجلّى مفهوم الحزن في المعاجم اللغوية بما يعكس عمق الدلالة وأبعادها النفسية والمعنوية؛ إذ ورد في معجم (الصحاح) أن الحزن: "خلاف السرور، وحَزِنَ الرجل بالكسر فهو حَزِنٌ وَحَزِينٌ"(١)، ويُفصّل ابن فارس أصول هذا المفهوم في الجذر الثلاثي (حزن)، مُبيِّنًا أن أصله يدل على "خشونة الشيء وشدة فيه، ومن ذلك: الحَزْن، أي ما غلُظ من الأرض، والحُزن بمعناه المعروف، ويُقال: حَزَنَني الشيءُ يَحزُنُني"(٢). وقد جاء تأكيد هذا المعنى في ما أورده الراغب الأصفهاني إذ أوضح بأن "الحُزْن والحَزَن: خشونة في الأرض وخشونة في النفس لما يحصل فيه من الغمّ، ويضادّه الفرح"، وأضاف شارحًا: "ولاعتبار الخشونة بالغمّ قيل: خشّنت بصدره: إذا حزنته"، ثم قال: "يُقال: حَزِنَ يَحْزَنُ، وحَزَنْتُهُ وأَحْزَنْتُهُ"(٣). وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى النفسي العميق للحزن في قوله تعالى: ﴿لِكَيْلا تَحْزَنُوا عَلى ما فاتَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٣].

استنادًا إلى ما ورد من التعاريف اللغوية لمفردة (الحزن)، يمكن استنتاج أن هذا المفهوم لا يقتصر على كونه حالة شعورية عابرة من الكدر والانقباض، بل يمتد ليعبّر عن أثر نفسي عميق متصل بخشونة المعاناة وثقل الغمّ على النفس، وهو بذلك يحمل بُعدًا وجوديًّا يتجاوز مقابلة الفرح، ليُصوّر الحزن كحالة من التصلب الداخلي والمكابدة، كما أن ارتباطه بألفاظ تدل على الخشونة والمشقّة في الطبيعة يوحي بتجذر هذا الشعور في التجربة الإنسانية، وبتداخله مع معاني الألم والمحنة في السياقين النفسي واللغوي على السواء.

وأما في الاصطلاح، فقد تعدّدت التعريفات التي تناولت مفهوم الحزن، نذكر منها ما جاء في بعض المعاجم والمصادر النفسية، حيث يُعرّف الحزن بأنه: "عبارة عما يحصل لوقوع مكروه، أو فوات محبوب في الماضي"(٤)، كما جاء في أحد التعريفات الحديثة أنّ الحزن هو: "حالة انقباض النفس لفقدٍ، أو تألُّم، أو فراقٍ، أو مكروهٍ، وقد يكون الحزن واقعياً، كما قد يكون اصطناعياً، كما في مشاركةِ المشاهدين والقارئين لأبطال المسرحية أو الرواية"(٥)، ومن التعريفات التي تشيع في الأدبيات النفسية كذلك: "عبارة عمّا يحصل بوقوع مكروه أو فوات محبوب في الماضي"(٦)، وهو بذلك يُجسّد حالة من تكاثف الغمّ وغلظته، مأخوذٍ من الأرض الحُزْن، أي الغليظة الصلبة، في إشارة إلى ثقل الحزن على النفس وشدّته"(٧).

يتّضح من مجموع التعريفات اللغوية والاصطلاحية أن الحزن ليس مجرد انفعال عابر، بل هو حالة نفسية عميقة تعبّر عن المعاناة والضيق الناتج عن فقد أو مكروه، ويتّسم بغلظة الشعور وثقله، كما تدل عليه دلالاته اللغوية المرتبطة بالخشونة والصلابة. وهو في الاصطلاح حالة انقباض داخلي قد تكون واقعية أو متخيّلة، مما يمنحه بعدًا إنسانيًّا مركّبًا يجمع بين الأثر النفسي والدلالة اللغوية في آنٍ معًا.

ثانياً: نبذة عن الجانب المحزن من حياة ابن الرومي

هو علي بن العباس بن جريج، أبو الحسن، مولى عبيد الله بن عيسى بن جعفر، يعرف بابن الرومي(٨)، ولد سنة (٢٢١هـ)، نشأ ابن الرومي في كنف الولاء لعبد الله بن عيسى بن جعفر بن المنصور العباسي، وكان من أصول يونانية، كما يدل على ذلك اسم جدّه. وقد أشار إلى نسبه هذا في شعره غير مرّة، منسوبًا نفسه إلى اليونان، بل كان يُطلق عليهم أحيانًا اسم (الروم)(٩)، كما في قوله:

ونحن بنو اليونان قوم لنا حجى ومجد وعيدان صلاب المعاجم(١٠)

لم تكن والدة ابن الرومي من الروم، بل كانت فارسية الأصل، وقد وجد في ذلك سببًا آخر للفخر، فكما كان يعتز بجذوره الرومية، افتخر كذلك بخئولته الفارسية، حتى بلغ به الأمر أن نسب نفسه إلى ملوك الفرس الساسانيين. ولم تكن هذه النسبة موضع إنكار أو تحفّظ في عصره، إذ كان كثير من الشعراء ذوي الأصول الفارسية يدّعونها ويجهرون بها(١١)، ومن فخره بنسبه العريق –برأيه– من قِبَل أبيه وأُمِّهِ قولهُ:

كيف أغضي على الدنيّة والفرس خئولى والروم هم أعمامى(١٢)

وُصف ابن الرومي بأنه كان نحيف البنية، ضئيل الجسم، دميم الوجه، يلفت الأنظار إليه لغرابة ملامحه، وقد لازمته هذه الصفات الخَلقية طوال حياته، حتى بات كثيرًا ما يرثي نفسه ويشكو من

دقّة جسمه ودمامته في شعره. ولم يتورّع عن التصريح بذلك في مقطوعات عدة، أشار فيها أيضًا إلى صلعه الذي كان يغطي معظم رأسه، مما اضطره إلى عدم نزع عمامته أبدًا، وقد خصّ إحدى قصائده برسم ساخر لنفسه، صوّر فيها صلعته وقبح وجهه بشكل لافت[١٣]، ونراه يختمها بقوله:

شغفت بالخرّد الحسان وما يصلح وجهى إلا لذى ورع
كى يعبد الله فى الفلاة ولا يشهد فيها مساجد الجمع[14]

يعد ابن الرومي أحد الشعراء المكثرين المجودين في الغزل والمديح والهجاء والأوصاف[١٥]، وعلى الرغم من مكانته الشعرية المتميزة، فإن ابن الرومي لم يحظَ بعناية كافية من مؤلفي كتب الأدب والسير والطبقات في العصور القديمة؛ إذ تغيب ترجمته عن مصنّفات بارزة مثل طبقات الشعراء لابن المعتز، والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، إلى جانب عدد من المصادر الأدبية الأخرى[١٦].

عاش ابن الرومي حياةً موشّاة بالحزن منذ صباه؛ فقد فُجع بوفاة والده في سنّ مبكرة، فتولّت أمه رعايته بمعونة أخيه الأكبر، غير أن الأقدار ما لبثت أن اختطفَت منه هذا الأخ قبل أن يبلغ الثلاثين من عمره. ثم تكالبت عليه المصائب تباعًا، فرحلَت والدته، ووسط هذا الفقد الثقيل تزوّج وأنجب، لعلّه يجد في أسرته عزاءً، غير أن الموت لم يمهله، فخطف منه أبناءه واحدًا تلو الآخر، ثم اختُتمت المأساة برحيل زوجته، فغرق في حزنٍ عميقٍ خلّد آثاره في شعره ووجدانه[١٧].

ولم يكن ذلك نهاية ما اعتراه؛ إذ كان ضيقُ الصدر وسرعةُ الانفعال من سماته البارزة، يضاف إليهما اضطرابٌ في أعصابه لعلّه كان الضريبة التي دفعها لقاء نبوغه. فلم يذق طعم البهجة بالحياة، بل رأى فيها كأسًا مُرًّا يتجرّع غصصه، فانقلب ساخطًا على ما يحيط به، حتى على أولئك الذين أحسنوا إليه وقرّبوه في مجالسهم وأغدقوا عليه من عطاياهم؛ فبادلهم هجاءً لاذعًا، فنفروا منه، واحتجبوا عنه. وهكذا تبدّد الأمل في مستقبلٍ باسِم كان يترقّبه، لتحلّ محلَّه أيّامٌ تعسةٌ بائسةٌ طابعها الحرمان[١٨].

توفي ابن الرومي في بغداد سنة (٢٨٣هـ)[١٩]، مما يُروى في أسباب وفاة ابن الرومي، هناك رأيان، **الأول:** أنّه مات إثر مرض، **والثاني:** أنّ القاسم بن عبيد الله دسّ له السم في لسانه فقتله، وهذا ما ذهب إليه أكثر المؤرخين[٢٠]، ودفن في مقبرة البستان في الجانب الشرقي من بغداد[٢١].

المبحث الأول

مظاهر الحزن في شعر ابن الرومي

شكّل الحزن محورًا جوهريًا في التجربة الشعريّة لابن الرومي، لا من حيث كونه موضوعًا طارئًا، بل باعتباره حالة وجودية غلبت على شخصيته، وانعكست بعمق في إنتاجه الأدبي. فقد عاش الشاعر سلسلة من المحن التي توزّعت بين الفقد الأليم لأفراد أسرته، ومعاناة المرض المزمن، والشعور بالوحدة والخذلان من مجتمعه، فجاء شعره مشبعًا بهذه الانفعالات، حتى أصبح الرثاء والشكوى والتوجّع من أبرز سماته الأسلوبيّة والموضوعيّة. ويرى عمر فروخ أن ابن الرومي "كان شاعرًا غلب عليه التشاؤم، لأنه كان نحيل الجسم، مفرط الحساسية، سريع التأثّر، كثير التأمّل، يرى في الحزن صورة للحياة، وفي الموت راحة من الأذى والخذلان"[٢٢].

يروي معاصرو ابن الرومي أنّه كان ضيق الصدر، سريع التقلب والانفعال، وقد انعكس ذلك جليًّا في نتاجه الشعري؛ إذ كثيرًا ما كان ينقلب على بعض ممدوحيه فيُعرِض عن مدحهم ليوجه إليهم سهام هجائه. ويُذكر أيضًا أن من خالطه أو اقترب منه أحسَّ بشيءٍ من الاضطراب في سلوكه، وكأنّ في أعصابه خللاً ظاهرًا، وربما كان هذا الجانب من شخصيّته سببًا في أن يُعدَّ من أكثر شعراء عصره تطيّرًا وتشاؤمًا. وإذا ما عُوتب في فرط تطيره احتجّ بأنّ النبي كان يحب الفأل ويكره الطيرة، وزعم أنه كان يتفاءل بالشيء ولا يتطيّر من ضده، كما أشار إلى أنّ الإمام عليًّا رضي الله عنه لم يكن يخرج إلى غزوةٍ والقمر في برج العقرب. وكان يرى أن الطيرة طبيعة قائمة في الطباع البشرية، لا تنفكّ عنها[٢٣].

كلّ ذلك ثمرةٌ لأسلوب الحياة الذي عاشه؛ فقد كانت حياةً بائسة في معظم جوانبها، خاليةً من مظاهر البهجة وألوان الترف في المعاش. ولعلّ هذا الواقع هو ما حمله على أن يوجّه شعره بما يلائم ذوق الصانعين؛ فلا يعمد إلى التكلّف في تنميقه أو تصنيعه، بل يطلق لذاته العفوية العنان لتجسيد مشاعره وعواطفه الصادقة كما هي[٢٤].

وفي هذا المبحث، سيتم تناول مظاهر الحزن في شعر ابن الرومي، من خلال أبرز المحاور التي أثّرت فيه، في محاولة للكشف عن العلاقة العميقة بين سيرته الذاتية وتجلّياتها الفنية.

المطلب الأول: الحزن الذاتي

لقد عاصر ابن الرومي عصرًا زاخرًا بالتناقضات الحادّة؛ فهو زمن اجتمع فيه النور والظلمة، واليقين والشك، والرجاء والقنوط، مما جعله يعيش تجربة نفسية مضطربة بين الأمل والانكسار[٢٥]. ولم يكن الشاعر بمنأى عن تقلبات هذا الزمن، بل انعكست أحداثه ومآسيه على وجدانه الشعري، فانبثقت في شعره ملامح الحزن الذاتي بأشدّ صورها وضوحًا. وتمثّل هذا الحزن

في استجابته العاطفية العميقة لما أصابه من نوائب: كفقد الأحبة، والمرض الذي أضنى جسده، والوحدة التي لازمت حياته، والموت الذي خطف أفراد أسرته تباعًا، فكان ديوانه مرآة صادقة لتقلباته النفسية وتجربته الوجودية في مواجهة الألم.

أولاً: المرض

يبدو أنّ علّة الجسد قد انضافت إلى علّة الأعصاب، فتكالبت عليه عوامل الحرمان، حتى استشعر فاجعته في أعماقه، وترسّخ في قلبه شعورٌ دائم بالخُذلان؛ إذ كان ينشد البهجة والمسرة والحياة الرغيدة، فلا يحصد إلا الشقاء والبؤس، حتى في صحته وجسده(٢٦).

كان ابن الرومي يشكو مرض العينين قبل الشيخوخة، ففي ذلك يقول في قصيدته الدالية في صلح عبيد اله بن عبد الله بن طاهر وأخيه سليمان(٢٧)، وهي مما نظم حوالي الأربعين:

شغلت عنك بعوار أكابده ... لا بالملاهي ولا ماء العناقيد

ولو قعدتُ بلا عذر لمهد لي ... جميل رأيك عذري أي تمهيد

قاسيتُ بعدكَ لا قاسيت مثلهما ... نهار شكوي يباري ليل تسهيد

أمسي وأصبح في ظلماء من بصري ... فما نهاري من ليلي بمحدود

كأنني من كِلا يومي وليلته ... في سرمدٍ من ظلامِ الليل ممدود

إذا سمعتُ بذكر الشمس آسفني ... فصعدتُ زفراتي أيَّ تصعيد(٢٨)

ويقول العقاد: "وذلك إلى شكاية من المتطببين واعتذارات كثيرة بالمرض تدل على بنية مصابة، وحظ من العافية قليل، فلمّا أدركته الشيخوخة لا جرم برحت به واشتدت وطأتها عليه، فرجفت أعضاؤه، وتعاورته الأسقام، واحتاج إلى العصا، وزاغ نظره، وثقل سمعه"(٢٩)، ويقول في ذلك:

ودبَّ كلال في عظامي أدبني ... جنيتُ العصا، أناد أو أتأيَّد

وبورِكَ طرفي فالشخوصُ حياله ... قرائن –من أدنى مدى– وهي فُرَّد(٣٠)

ويذكر العقّاد أنّ سبب مرضه هو إفراطه في الأكل، وأنّه كان يأكل كُلَّ ما كانَت تشتهيه نفسهُ، وعدّه سبباً رئيساً لمرضه، فيقول: "ابن الرومي وقع من مزاجه وإسرافه في حلقة مربقة لا يدري أين طرفاها، فمزاجه أغراه بالإسراف، والإسراف جنى على مزاجه، فإنّ هذا الإسراف الموكّل بالاستقصاء في كل مطلب ورغبة خليقٌ ولا غروَ أن يسقم جسمه، وينهك أعصابه، ويتحيف صوابه، بيدَ أنّه لا يسرف هذا الإسراف إلا وفي جسمه سقم، وفي أعصابه خلل، وفي صوابه شطط لا يكبح جماحه، فالعلة هي سبب الإسراف، والغسراف هو سبب العلة! وهو في

هذه الحلقة الموبقة في بلاء واصب، ومحنة لا قبل بها للضليع الركين، فضلاً عن المهزول الضئيل، وعلاقة كل ذلك باختلال الأعصاب وشذوذ الأطوار بدءاً وعوداً وبدءاً علاقة من جانب الجسد ومن جانب التفكير"[٣١].

ويضيف العقّاد بأنّ ابن الرومي كان "يستحضر الخوف، ويكثر التوجس، ويختلق الأوهام، ومن أصحاب هذا المزاج من يخاف الفضاء، أو يخاف الماء، أو يخاف حيوانات منزلية لا قوة لها ولا ضراوة كالقطط والكلاب والجرذان، فابن الرومي واحدٌ من هؤلاء نحسب أنّه كان مستعدّاً لهذه الهواجس طول حياته في صحته ومرضه، وفي شبابه ومشيبه، ونحسب أنّ استقصاءه للمعاني الشعرية والإلحاح في تفريعها وتقليب جوانبها إنْ هو إلا علامة خفيفة من علامات هذا الوسواس الذي يريح صاحبه، ولا يزال يشككه ويتقاضاه التثبّت والاستدراك، فيمعن حتى لا يجد سبيلاً إلى الإمعان"[٣٢].

لقد كان ابن الرومي مع استعداده للهاجس في شبابه ومشيبه "قد تمادى به الوسواس في أعوامه الأخيرة، حتى اصبح آفة متأصلة غلبت على أقواله وأفعاله جميعاً، فليس له عنها محيص، فأفرط في الطيرة، واشتد خوفه من الماء لا يركبه ولو أدقعَن ودعاه إلى ركوبه من يمنونه الأرفاد وحسن الضيافة، وصوّر لنا ما يعتريه من خوف الماء تصويراً لا يدل إلا على حالة مرضية، ولو كان التشبيه فيه مجاز الشعر وتهويل الخيال"[٣٣]، وهذا بعض ما قاله في مخاوفه وأهوال ركوبه:

ولو ثاب عقلي لم أدَع ذكر بعضه ولكنه من هوله غير ثائب

أظلُّ إذا هزتهُ ريح ولألأتْ له الشمس أمواجاً طوال الغوارب

كأنّي أرى فيهِنَّ فرسان بهمة يليحونَ نحوي بالسيوف القواضب[٣٤]

ثانياً: الحرمان

"إنّ قصائد ابن اورمي في جملتها لا تدع إلا أثراً واحداً في ذهن القارئ من هذه الوجهة وهو أنّه كان في ضنك وفاقةٍ، كثير الحرمان، كثير الشكاية، ولكنها لا تخلو هنا وهناك من أبيات تدل على كفاف أو حظ من اليسر، وعلى أنّ بعض ممدوحيه كانوا يحرمونه عطاياهم لذلك اليسر الذي يرونه عليه"[٣٥]، فيقول:

أتحرمني لأني مستقل وأني لست كالرَّزحَى السغاب

فما تحمي ذوات الدر درّاً إذا صادفنَ ملآن الوطاب[٣٦]

مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ٢٠٢٦ المجلد ١٦/ العدد ١

ثالثاً: الفقد

يتجلّى الحزن العميق في شخصية ابن الرومي من خلال رثائه، الذي يُعدّ أبرز تجليات تجربته الشعريّة الصادقة، فهو لم ينظر إلى الرثاء بوصفه غرضًا شعريًّا تقليديًّا، بل اتخذه وسيلة للتعبير عن آلامه الذاتية وأحزانه المتراكمة. ويُستشف من رثائياته أن الحزن لم يكن طارئًا على نفسه، بل كان شعورًا ملازمًا له، تعمّق بفعل إحساسه بالظلم والتجاهل في بيئته الأدبية، إذ كان يرى نفسه متفوقًا على كثير من شعراء عصره دون أن يُمنح ما يستحقه من التقدير والرعاية. وقد بلغ هذا الحزن ذروته عند فقده ثلاثة من أبنائه، فكان رثاؤه لهم مرآةً حقيقية لألمه الداخلي، تجلّى ذلك بوضوح في رثائه المؤثّر لابنه الأوسط، الذي توفّي وهو طفل رضيع، حيث صوّر موته ونزيفه في المهد تصويرًا مؤلمًا، ينبئ عن قلب مفجوع ونفسٍ مكدودة، حتى بدت الحياة في نظره سلسلة متواصلة من المآسي والمآتم[٣٧].

ويتجلّى هذا الحزن بصورة مؤثّرة في رثائه لابنه الثالث، حيث تنطق الأبيات بمشاعر الفقد العميق، وتُعبّر عن اغترابه عن الحياة بعد رحيل فلذة كبده، فيقول:

أبنـــيّ إنـــك والعـــزاء معـــا بـــالأمس لـــفّ عليكمـــا كفـــن

مـــا فـــي النهـــار–وقـــد فقـــدتك–مـــن أنـــس ولا فـــي الليـــل لـــي ســـكن

مـــا أصـــبحت دنيـــاى لـــي وطنـــا بـــل حيـــث دارك عنـــدى الـــوطن[٣٨]

الرثاء عند ابن الرومي يكشف عن عمق الحزن الذي لازم حياته، لا بفقد الأبناء فحسب، بل أيضًا برحيل أقرب الناس إليه. فقد رثى أمه وأخاه محمد، وكان رثاؤه لهما صدى لحزن داخلي متجذّر، عبّر فيه عن فجيعة الفقد وثقل الغياب. ولم تخلُ حياته كذلك من لحظات عزاءٍ لأصدقائه، ينضح فيها صوته بالألم والسلوان، كما فعل حين واسى عليّ بن يحيى المنجّم، ثم المسيّبي الكاتب في فقد ابنته، فعزّاه بتسليمٍ مؤلم لقضاء الله، مؤكدًا أن لا خلود في الدنيا، وأن الفقد حتميّ لا مفرّ منه، ومع ذلك لا يخلو العزاء من نبرةٍ حزينةٍ توحي بأن الشاعر حين يعزّي غيره، إنما يعزّي نفسه أولًا[٣٩]، فيقول:

أصـبت ومـا للعبـد عـن حكـم ربـه محـــيص وأمـــر الله أعلـــى وأقهـــر

تعزّيـــت عمـــن أثمرتـــك حياتـــه ووشـــك التعـــزى عـــن ثمـــارك أجـــدر

فـلا تهلكـن حزنـا علـى ابنـة جنّـة غـدت وهـى عنـد الله تحيـا وتحبـر[٤٠]

ويُلحَظ في هذه الأبيات أن الشاعر، وإنْ عبّر عن الرضا الظاهري بقضاء الله، إلا أن الحزن ظلّ متغلغلًا في نبرة العزاء، مما يكشف عن روحه المثقلة بالفواجع، وكأنما كان في كل رثاء أو عزاءٍ ينطق بما في قلبه من كمدٍ لا ينطفئ.

كان الموت لدى ابن الرومي مقترناً بالرهبة والتشاؤم، وقد رثى أفراد أسرته الذين طالتهم يد المنون، كما رثى بعض أصحابه، وبعض القادة، وبعض المغنيات، علاوة على رثاء مدينة البصرة بعدما تعرضت له على أيدي الزنج، ومما يمثل رثاءه من بعض الوجوه قوله راثياً زوجه:

عينـــــي شـــــحا ولا تســـــحا جـــل مصـــابي عـــن البكـــاء

تركـــمـــــا الـــــداء مســـــتكنا أصـــدق عـــن صـــحة الوفـــاء

إنّ الأســـــى والبكـــــاءَ قـــــدما أمـــــران كالـــــداء والـــــدواء

ومـــــا ابتغـــــاء الـــــدواء إلا بغيـــاً ســـبيل إلـــى البقـــاء

ومبتغـــى العـــيش بعـــد خـــل كاذبـــه خلـــة الصـــفاء[٤١]

في هذه المقطوعة الشعرية، يصوّر ابن الرومي فاجعته بوفاة زوجه، فاجعةً لم يجد في البكاء ما يوازي جسامتها، إذ ارتأى أن الامتناع عن البكاء أصدق برهان على وفائه لها، لما في ذلك من ضمان ديمومة الحداد واستمراره. ومعلوم أن البكاء – وإن عُدّ بلسمًا للحزين – لم يكن عند الشاعر سبيلًا للتخفيف من وطأة المصاب، فقد آثر العزوف عن التعلق بأسباب الحياة وفاءً للراحلة. ويغلب على النص طابع تقريري جدلي، وهو أمر مألوف في شعر ابن الرومي، شاعر الفكرة وصاحب النزعة العقلية التي تتبدى عبر أبياته. ومن خلال هذا التأمل العميق، يخلص الشاعر إلى أن الشفاء من لوعة الفقد مرهون بالبكاء الذي يهب السلوى ويمهد لاستمرار الحياة بعد الرحيل، غير أن غايته كانت الإبقاء على جرح الفقد حيًّا حتى يلحق بالراحلة. وهكذا جاءت الأبيات مائلة إلى العقلانية، تفتقر إلى حرارة الانفعال وتدفّق العاطفة، وهو ما يشكل سمة بارزة في بعض مقاطع الرثاء ضمن ديوان ابن الرومي[٤٢].

ولابن الرومي مطولة تربو على مئتي بيت كرّسها لرثاء أمه، جاعلاً مستهلها مشوباً بطابع المبالغة، حيث يقول متفجعاً:

ألا مـــن إليـــه اشـــتكي مـــا ينـــوبني فيفـــرج عنـــي كـــل غـــمّ وكـــل هـــم

نبـــا نـــاظري أيـــام عـــن كـــل منظـــر وســـمعي عـــن الأصـــوات بعـــدك والـــنعم

وأصـــبحت الآمـــال مـــذ بنـــت والمنـــى غـــوادر عنـــدي غيـــر وافيـــة الـــذمم[٤٣]

مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ٢٠٢٦ المجلد ١٦ / العدد ١

كان ابن الرومي يملك قدرة فريدة على النفاذ إلى أعماق المعاني والأخيلة الطريفة، حتى في موضوعات يغلب عليها طابع الحزن والمأساة، كالموت. وقد بلغ به الأسى حدًّا جعله ينظر إلى الموت لا بوصفه نهاية مؤلمة، بل خلاصًا مريحًا من عالمٍ جائر، ومن أصدقاء لا ينصفونه ولا يقدّرون مكانته. ويبدو أن هذه النظرة لم تكن وليدة التأمل الفلسفي فحسب، بل نابعة من تجربة وجودية مؤلمة، جعلته يهوّن الموت، وربما يُحبّبه إلى غيره، إذ رأى فيه راحة من ظلم الأحياء، وسكينةً لا يجدها في صحبة البشر[٤٤]. ويعبّر عن هذا المعنى بقوله:

قد قلت إذ مدحوا الحياة فأكثروا للموت ألف فضيلة لا تعرف

فيه أمان لقائه بلقائه وفراق كل معاشر لا ينصف[٤٥]

وتكشف هذه الأبيات عن عمق التشاؤم الذي كان يكتنف روحه، حتى بات الموت في نظره أكثر رحمة من حياةٍ افتقد فيها التقدير والإنصاف. وتعبيره عن أن الموت أمان للإنسان من خوفه المروّع بلقائه من أدق ما يمكن، وهو لا يبارى فى النفوذ إلى كثير من المعانى والأحاسيس الدقيقة[٤٦].

يتّسم ديوان ابن الرومي بسمةٍ واضحة من التشاؤم، غير أنّ من الضروري التمييز بين التشاؤم بوصفه موقفًا نفسيًا وفكريًا، والزهد بوصفه توجهًا دينيًا قائمًا على الإعراض عن متاع الدنيا. فالزهد انصراف إرادي عن اللذائذ الفانية، بينما التشاؤم – لا سيّما في تجربة ابن الرومي – هو سخطٌ على فقدان متع الحياة وحرمانٌ منها، لا اختيار في التخلّي عنها. وقد تجسّد هذا التشاؤم في نفسٍ شاعريةٍ مرهفةٍ، امتازت بدقة الإحساس وذكاء العاطفة، فجعلته يرى الحياة من زاوية قاتمة، مصوّرًا في شعره سوداويتها وشرور الناس وطباعهم، فغدت الحياة والناس معًا موضوعًا رئيسًا في شعره، لا يني يتأملها ويفكك ظواهرها بسخطٍ واضح[٤٧].

ولابن الرومي قدرة فريدة على الجمع بين ملاحظة الجزئيات الدقيقة في الوصف، والتأملات الكلية التي تُفضي إلى تصويرٍ رمزيّ للأخلاق والسلوكيات، فجاء شعره حافلًا بصور مجسّدة لأخلاق ذميمة كالكِبْر، والنَهَم، والثِقَل الاجتماعي، مقابل تصويره لفضائل كالصبر والتجلّد[٤٨].

والحق أن ابن الرومي يُعدّ من ألمع شعراء عصره، بل لا مبالغة في اعتباره الأبرع بينهم، لما يتميز به ديوانه من ثراءٍ موضوعي وابتكارٍ في المعاني والصور الشعرية. فقد جاءت أشعاره زاخرة بأخيلة طريفة ومعانٍ متجددة تنمّ عن خيال خصب وعقل مبدع، مما يملأ النفس إعجابًا متواصلاً بقدرته الفنية وتفرّده الأسلوبي، ويجعل من شعره ظاهرة أدبية تستحق التقدير والدراسة المتأنية[٤٩].

كان ابن الرومي يتحوّل، في لحظات من حياته، إلى كائن مفجوع تفيض مشاعره بالألم، وتتفجّر أحزانه على صفحات شعره، كلما وجّه له الدهر سهام الفقد في أسرته، فأصابت أحبّته واحدًا تلو الآخر. وقد سجّل في رثائه لهم تجربة شعريّة صادقة تنبض بالحزن العميق، وتُجسّد حجم المأساة التي ألمّت به. وتتجلّى هذه المأساة بأشد صورها في رثائه لابنه الأوسط محمد، حيث يظهر ابن الرومي في قمة الأسى، يبكي ولده بكاءً ينفذ إلى أعماق الأبوة المفجوعة، ويعبّر عن مصيبته بلغةٍ عالية الإحساس، مملوءة بالشجن. وتعدّ قصيدته "الدالية" في رثاء هذا الابن من أروع ما كُتب في شعر الرثاء، ولا تقلّ في أثرها الأدبي والوجداني عن عينية أبي ذؤيب الهذلي التي رثى فيها أبناءه السبعة، إذ تكشف قصيدة ابن الرومي، التي تجاوزت أربعين بيتًا[٥٠]، عن عمق التجربة الإنسانية في مواجهة الفقد، وعن قدرة الشاعر على تحويل ألمه الشخصي إلى خطاب شعري خالد:

بكاؤُكُما يشفي وإن كان لا يجدي ... فجودا فقد أودى نظيركما عندي

بُنَيَّ الذي أهْدَتْهُ كَفَّايَ للثَّرَى ... فَيَا عِزَّةَ المُهْدَى ويا حَسْرة المُهدِي

ألا قاتَلَ اللَّهُ المنايا ورَمْيَها ... من القَوْمِ حَبَّات القُلوب على عَمْدِ

تَوَخَّى حِمَامُ الموتِ أوْسَطَ صِبْيَتي ... فللّه كيفَ اخْتار وَاسطَةَ العِقْدِ

على حينَ شِمْتُ الخيْرَ من لَمَحَاتِهِ ... وآنَسْتُ من أفْعالِه آيةَ الرُّشْدِ

طَوَاهُ الرَّدَى عنِّي فأضْحَى مَزَارُهُ ... بعيداً على قُرْب قريباً على بُعْدِ[٥١]

تميّزت هذه المرثية بصدق العاطفة التي اعتملت في وجدان الشاعر المكلوم، بما يستحق الإشادة والوقوف عنده. فقد كان وقع الفاجعة على نفسه بالغاً إلى حدّ أفقده رزانته واتزانه الفكري، وأعجزه عن ضبط مشاعره وكبح انفعالاته، فغلب عليه الحزن العارم والعاطفة المتدفقة. ولم يتجلَّ في موقفه الرضا والتسليم بقضاء الله وقدره، ولا تطلع إلى ما أعدَّه سبحانه من عظيم الثواب للصابرين، بل استسلم لتيار الجزع، وانغمس في بكاء مرير أرهق عينيه وأضناهما، وكيف لا يكون ذلك، والفقيد كان قرة عينه وموضع حبه.

المطلب الثاني: الحزن الاجتماعي

يُعَدُّ الحزن الاجتماعي في شعر ابن الرومي من أبرز الظواهر الشعورية التي صاغت ملامح تجربته الإبداعية، إذ تتجلى في إحساسه العميق بالاغتراب النفسي والاجتماعي، ونفوره من مظاهر الحياة الدنيا وذمّه لها، بما تحمله من تقلبات وخداع. وقد انعكس هذا الشعور في صور شعره ومعانيه، فكان يلوذ بالتشاؤم ويستحضر صور الفناء والبِلى، معبِّراً عن عزلة روحية

خانقة. ويُرجع النقاد هذه النزعة إلى عوامل ذاتية واجتماعية متشابكة، شكلت مجتمعةً وجدان الشاعر ونزعته الإغرابية المميزة(٥٢).

أولاً: الاغتراب

عاش ابن الرومي حياته كلها في بغداد، لا يفارقها قليلاً حتى يعود سريعاً، وقد نازعه إليها شوق وغلبه نحوها حنين، وكانت بغداد يومئذٍ عاصمة الدنيا غير مدافع، فيها كل محاسن العمار الواسع وعيوبه، وكل رفاهة العمار الواسع وشقائه(٥٣).

يُمثّل الإغراب مدخلاً رئيساً إلى فهم شخصية ابن الرومي، إذ يكشف التوغّل في آفاق شعره عن نزوع واضح إلى هذا المنحى، ولا سيّما في مستوييه المعنوي والتصويري. ويبدو أنّ هذا الميل ما هو إلا انعكاس لإحساسه العميق بالغربة النفسية، التي تتجلّى ملامحها في هيمنة شعورٍ بعدم التكيّف الاجتماعي عليه، وهو ما عبّر عنه شعره بجلاء(٥٤)، ويمكن تلمّس ذلك في قوله:

جيف أنتنت فأضحَت على اللجة والدر تحتها في حجاب
وغثاء علا عباباً من اليمم وغاص المرجان تحت العباب
ورجال تغلبوا بزمان أنا فيه وفيهم ذو اغتراب(٥٥)

ويتجلى الحزن عن ابن الرومي في الحنين إلى الوطن والشكوى والعتاب والشيب والشباب والحكمة والمثل، إذ لم يكن متخلفاً فيه ولا مقصراً، بل يبلغ في بعضه مرتبة لا نظير لها(٥٦)، مثل قوله:

ولي وطنٌ آليت ألا أبيعَهُ وألا أرى غيري له الدهرَ مالكا
عهْدتُ به شرخَ الشبابِ ونعمةً كنعمةِ قومٍ أصبحوا في ظِلالكا
فقد ألفَتْهُ النفسُ حتَّى كأنه لها جسدٌ إن بانَ غودِرْتُ هالكا
وحبَّب أوطانَ الرجالِ إليهمُ مآربُ قضَّاها الشبابُ هنالكا(٥٧)

ارتبط إحساس ابن الرومي بالغربة النفسية بعمق شعوره بالاستهداف والظلم، وهو شعور طبع تجربته الشعرية بطابع الحزن والانكفاء. وشاعر بهذه الحال يكثر في نتاجه من تصوير الغربة واستدعاء معانيها، حتى ليغدو المديح نفسه مشوباً بها. ومن شواهد ذلك ما نجده في أبياته التي قالها في مديح يحيى بن علي المنجّم:

رُبَّ أكرومـــةٍ لـــه لـــم تخلهـــا قبلـــه فـــي الطبـــاع والتركيـــب

غربتـــه الخلائـــق الزهـــر فـــي النـــاس ومـــا أوحشـــته بالتغريـــب[٥٨]

لا يُعدّ من قبيل المبالغة القول إنْ قلنا أنّ ابن الرومي شاعر متفرّد بسماته، تكشفها بجلاء ملامحه النفسية التي تتبدّى بوضوح من خلال استقراء شعره، ذلك الشعر الذي يشكّل مرآة صادقة لأعماقه ووجدانِه[٥٩].

وممّا يثير الدهشة أنّ ابن الرومي لم يكن يحسن إقامة علاقات ودّية دائمة مع الوزراء أو أبنائهم؛ إذ كان يغضب لأدنى تقصير في عطائهم، سواء بتأخير الجائزة أو إنقاصها، فيتحول من مادح إلى خصم عنيف، مسلّطًا لسانه اللاذع، ومصوّبًا هجاءه شعريًّا كسهامٍ دامية. ويتجلّى هذا السلوك بوضوح في علاقته بكلٍّ من صاعد وابنه العلاء، حيث بدآ يُهمِلان مكافأته على مدائحه، فاشتد غضبه عليهما، وشرع يصبّ عليهما نار هجائه[٦١]، كما في قوله:

ليهـــنكم أن لـــيس يوجـــد مـــنكم لبـــوس ثيـــاب المجـــد لكـــن خلوعهـــا[٦٠]

وحدتـه النفسـية وشـعوره بـالاغتراب فـي محيطـه الأدبـي والاجتمـاعي، فقـد كـان دائـم الاصطدام بمن حوله من الشعراء والنقاد، يدخل في صراعات حادة معهم، ويفرغ ما في صدره من ضيق وسخط عبر هجاءٍ لاذع ومرير. كما أن هذه المواجهات لم تكن فقط نتاج التنافس الأدبي، بل كانت في جزء منها نابعة من اضطراباته النفسية ونزعته التشاؤمية التي انعكست حتى على علاقاته الأدبية. ويزيد من ألم الصورة أنّ من خاصموه لم يكونوا خصومًا عاديين، بل كـانوا مـن أبـرز أدبـاء عصـره، أمثـال المبـرد وتلميـذه الأخفـش، ممـا زاد شـعوره بالعزلـة وربمـا بالخذلان، خاصـة مـع تعرّضـه للنقد والتجريح من رموز النحو واللغة كنفطويـه، فصـار الهجـاء وسيلته للدفاع عن نفسه وإثبات وجوده، وهو ما يكشف عن صراع داخلي مرير بين الموهبة والإقصاء، وبين الانفتاح الإبداعي والانغلاق النفسي[٦٢].

تكشف هذه المرحلة من حياة ابن الرومي عن جانب محزن يتمثل في شعوره بالخذلان والجفاء من بعض من مدحهم، وعلى رأسهم القاسم بن عبيد الله وأبوه، إذ ضاقا به بسبب كثرة شكواه وطلبه للعطاء، حتى قطعا عنه الجائزة أحيانًا. ورغم محاولاته لاستعطافهما وتذكيرهما بحق الأديب، لم يلقَ استجابة، مما دفعه إلى اللجوء مجددًا إلى هجائه اللاذع[٦٣]، كما في قوله:

تســـميتم فينـــا ملوكـــا وأنـــتم عبيـــد لمـــا تحـــوى بطـــون المـــزاود

لكـــم نعمـــة أضـــحت بضـــيق صـــدوركم مبـــرّأة مـــن كـــلّ مـــثن وحامـــد

فـإن هـي زالـت عـنكم فزوالهـا[٦٤] يجـدّد إنعامـا علـى كـل ماجـد

وتعكس أبياته في هذا السياق معاناة الشاعر من الفقر والحرمان، وشعوره بالغربة في بيئة لا تقدّر الموهبة، بل تنحاز لمن يملك المال والنفوذ، وهو ما يضفي على شعره بُعدًا إنسانيًّا حزينًا ينطق بألمه وصراعه الداخلي.

ثانياً: ذم الحياة الدنيا

يعبّر ابن الرومي في أحد مواضع شعره عن رؤيته للدنيا الفانية، حيث يصوّرها مسرحاً يتربّص فيه الموت بالبشر، مترصداً خطواتهم، فلا يلبث أن يصيبهم واحداً تلو الآخر، فيسقطهم تباعاً في مصير محتوم:

لعمـرك مـا الـدنيا بـدار إقامـةٍ إذا زال عـن عـين البصـير غطاؤهـا

وكيـف بقـاء النـاس فيهـا وإنّمـا ينـال بأسـباب الفنـاء بقاؤهـا[٦٥]

ويُظهر ابن الرومي في تصويره أنّ الحياة ليست سوى متاعٍ زائلٍ وخداعٍ غرور، لا تعرف الثبات على حال؛ إذ تتقلب بأهلها، متشابكة الأواصر بالشقاء والفناء تشابكاً وثيقاً، حتى ليُطرح التساؤل: ماذا عسى أن يرجو الإنسان من دنيا هذه طبيعتها:

إنّمـا هـذه الحيـاة غـرور وشـقاء للمعشـر الأشـقياء

نحـن فيهـا ركـب تـؤم بـلاداً فكـان قـد ألنـا إلـى الانتهـاء

مـا عسـى نرتجـي ونحـن مـع الأمـوات يحـدي بنـا أحـث الحداء[٦٦]

اشتد الصراع النفسي في وجدان ابن الرومي المفعم غيظاً، إزاء المفارقة الصارخة التي عاينها في مجتمعه، حيث اختلّت منظومة القيم اختلالاً فادحاً، فغدت المراتب معكوسةً؛ إذ يُحرم صاحب الكفاءة والاستحقاق من التقدير الذي يليق به، فيما يحظى عديم الكفاءة بالمكانة المرموقة. وقد استوقفه – بل آلمه – أن يجد نفسه في منزلة متدنية مهينة، وهو الموهوب بملكة شعرية فذة وذكاء وقّاد وثقافة واسعة، بينما يتنعم غيره بالثراء والمجد الاجتماعي، وهم في الغالب من رجال الشرطة والكتّاب والتجار المجردين من العلم والبيان[٦٧]، فنراه يقول:

ويظلمـون فـي المنـاعم واللـذات بـين الكواعـب الأتـراب

لهـم المسـمعات مـا يطـرب السـامع والطـائف بـالأكواب

ومـزاج الشـراب إن حـاولوا المـزج رضـاب، يـا طيـب ذاك الرضـاب

مـن جـوارٍ كـأنهم جـوارِ يتسلسـلن مـن ميـاه عِـذاب[٦٨]

المبحث الثاني

لغة الحزن في شعر ابن الرومي

المطلب الأول: الألفاظ والتراكيب الدالة على الحزن

يُعَدّ المعجم الشعري لابن الرومي مرآةً صادقة لوجدانه المضطرب ومشاعره المكدودة، فقد صاغ من مفرداته وتراكيبه عالَمًا لغويًّا تتردّد فيه ظلال الحزن بأشكال متنوّعة، من الألفاظ الصريحة الدالّة على الأسى والفقد، إلى التراكيب التي توحي بالانكسار والخذلان، مرورًا بالصور البلاغية التي تُلبِس الحزن هيئةً حسيةً أو كائنًا ماثلًا. إنّ تكرار هذه الألفاظ وبناء التراكيب على نحوٍ يضاعف الأثر النفسي، يكشف عن أنَّ الحزن في شعره لم يكن عرضًا عابرًا، بل سمةً مهيمنةً على تجربته الإبداعية، تعكس سيرته المليئة بالفقد والمرض والخذلان الاجتماعي. ويذهب النقاد إلى أنّ هذا الاتساق بين اللفظ والمعنى العاطفي يعكس حالة من الصدق الفني، حيث تتآزر الدوالّ اللغوية مع التجربة الشعورية في إنتاج خطاب شعري حزين مفعم بالحميمية والتأثير[٦٩].

سنتناول بالتحليل عدداً من أبيات الشاعر ابن الرومي، مستقصين ما تنطوي عليه من معانٍ ودلالات، ومتبصرين بما حوته من صور فنية وتراكيب بلاغية، مع الوقوف عند بنيتها الإيقاعية، واستجلاء ما تعكسه من مشاعر وتجارب ذاتية. وسنعمد إلى ربط هذه الأبيات بسياقها النفسي والاجتماعي، للكشف عن أبعادها الجمالية والفكرية، وإبراز ما تميزت به من قوة في التعبير وعمق في المعنى.

نرى الشاعر ابن الرومي يعبّر عن شعورٍ داخلي يلازمه حتى في لحظات السعادة، فيظل يتوجّس من انقضائها كما ينقضي الحلم، مما يجعله غير قادر على الاستمتاع الكامل بالعيش. ويرى أنّ من يعيش مترقبًا النهاية، مستحضرًا الفقد في ذهنه، فهو في الحقيقة يعيش بؤسًا داخليًا وإن أحاطته مظاهر النعمة والرخاء، فيقول:

إذا طاب لي عيش تنغصت طيبه يصدقُ نفسي أن سيذهب كالحلمْ

ومن كان في عيش يراعي زوالَه فذلك في بؤسٍ وإن كان في نعمْ[٧٠]

استخدم الشاعر ابن الرومي في هذين البيتين ألفاظاً وتراكيب دلَّت على الحزن، فاستخدم الفعل (طاب) الذي يدل على خلاف الخبيث، فالطيب ضد الخبيث، يقال هذا طعام مطيبة للنفس، والطَيِّبُ: الحلال[٧١]، وفي المقابل استخدم الفعل (تنغَّصَت) الذي يدل على القطع عن المراد[٧٢]، فوظف الشاعر هذين اللفظين في البيت الأول مقترناً بالشرط، (إذا طاب عيشي...)، يفيد انّ حدوث السعادة مشروط بزوالها القريب، وكأنّ الحياة لا تمنحه صفواً كاملاً.

كذلك تشبيه العيش بالحلم الذي يوحي بسرعة الزوال، وعدم القدرة على الإمساك به، وهو تصوير بديع لفكرة الفقد، في قوله (يذهب كالحلم...)، فاستخدم الفعل (يراعي) الذي يوحي بالترقب والقلق، ومنه "وراعى أمره: حفظه وترقبه. والمراعاة: المناظرة والمراقبة. يقال: راعيت فلانا مراعاة ورعاء إذا راقبته وتأملت فعله. وراعيت الأمر: نظرت إلام يصير. وراعيته: لاحظته"[٧٣]. وكأنّ الشاعر يعيش لحظة الانتهاء قبل حدوثها، مما يضاعف الإحساس بالحزن. واستخدم الشاعر المقابلة في عجز البيت الثاني، في لفظتي (بؤس) و(نِعَم)، وهذه المقابلة تكشف المفارقة الحزينة، فالنعمة قد تتحول معنوياً إلى بؤس إذا صاحبها خاف الفقد.

وفي موضع آخر يربط الشاعر بين حقيقة الدموع كاستجابة طبيعية للوجع النفسي، وبين تجربة شخصية من الخيبة أو الفراق، ليعبّر عن أسى تجاوز حدّ التحمّل، حتى تمنى لو أن السبب المؤلم لم يكن قد وقع أصلًا، فيقول:

لم يخلق الدّمع لامرئ عبثا الله أدرى بلوعة الحزن

أساء بي ما أتيت من حسن إليّ في ما مضى من الزمن

منعتني بعدك العزاء به يا ليت ما كان منك لم يكن[٧٤]

استخدم الشاعر ألفاظاً واضحة وصريحة في دلالتها على الانكسار النفسي، (الدمع) و(الحزن)، وهي من المعجم المألوف في المراثي والوجد، فالدمع ماء العين من علةٍ أو كبر[٧٥]. كذلك استخدم الفاظاً تحمل معاني الأذى والحرمان، مثل (أساء بي)، و(منعتني)، مما عمّقت الشعور بالمظلومية والعاطفية، فالإساءة "نعت لكل شيء رديء، وساء الشيء: قَبُحَ فهو سيء"[٧٦]، والمنعُ هوالإحالة بين المرءِ وإرادته، ورجل منيع: لا يُخلَصُ إليه [٧٧].

فضلاً عن ذلك فقد استخدم الشاعر أسلوب التمني، المتمثل بكلمة (ليت)، فهو اللفظ الوحيد الدال على التمني[٧٨]، والتمني "هو طلب الشيء المحبوب الذي لا يرجى حصوله، أما لكونه مستحيلا، أو لأنه بعيد الحصول"[٧٩].

كذلك استخدم الشاعر تراكيب توحي بعجز البشر عن إدراك عمق ألمه، فعبر عن ذلك بقوله: (الله أدرى بلوعة الحزن)، هذا واستخدم مفارقة مأساوية بين الإساءة والحُسنِ في قوله: (أساء بي ما أتيتُ من حُسنٍ)، فالشيء الجميل تحوّل إلى سبب للأذى.

ومن مرثية ابن الرومي لابنه، التي أفرغ فيها مكنون حزنه، وصاغها بألفاظ صادقة وعبارات مؤثرة، حيث تتجلى فيها مرارة الفقد، وعجز التعبير عن استيعاب حجم الأسى الكامن في قلبه:

ألام لما أبدي من الحزن والأسى وإني لأخفي منه أضعاف ما أبدي[٨٠]

يعبر الشاعر في هذا البيت عن المفارقة بين ما يظهره من الحزن وما يخفيه، فيقول إنه يُلام على إظهاره للحزن والأسى، مع أن ما يخفيه في قلبه أضعاف ما يبديه للناس. في هذا التصوير يبرز عمق المعاناة الداخلية التي تعجز الكلمات عن نقلها كاملة، فهو يواجه نظرة المجتمع التي تدعوه للصبر أو التجلد، بينما في داخله بحر متلاطم من الألم.

هذا والبيت قائم على طباق بين (أبدي) و(أخفي)، مما يعزز المفارقة بين الظاهر والباطن، كما أن تكرار كلمة (أضعاف) يشير إلى ضخامة الحزن المخزون. ونبرة البيت تمزج بين الاعتذار والاحتجاج؛ اعتذار عن إظهار الحزن أمام الناس، واحتجاج على لومهم، وكأن الشاعر يريد أن يقول إن ما يبدو على قسمات وجهه ليس سوى قمة جبل الجليد من ألمه العميق. واستخدم الشاعر ألفاظاً وعبارات تعبر عن حجم الحزن والألم، وقد استخدمها صريحة، في (الحزن) و(الأسى)، وهما لفظان يدلان صراحةً على الحزن، فالأسى هو الحزن، "يقال: أسيتُ على الشيء آسى أسىً، أي: حزنت عليه"[٨١].

وقيل أن ابن الرومي زار قبر أخيه يوما فوجد الشقائق قد نبتت على قبره[٨٢]، فأنشد يقول:

قالـــت شـــقائق قبـــره ولـــربّ أخـــرس نـــاطق

فارقتـــــــه ولزمتـــــــه فأنـا الشـقيق الصـادق[٨٣]

استخدم الشاعر عبارة (شقائق قبره): ولفظة (شقائق) تحمل معنيين متداخلين: المعنى اللغوي الأخوات أو المماثلات في الأخلاق والطباع، كأنهن شققن منهم، والمعنى المجازي ما يشارك الشيء في جوهره[٨٤]. هنا يستحضر الشاعر صورة القبور المتجاورة كأنها أخوات متآلفات، فيربط قبر أخيه بقبور أخرى، وكأنها أقرباؤه في عالم الموت. هذا اللفظ يضفي حميمية ودفئًا على المشهد الجنائزي، ويخفف وحشة القبر.

وكذلك الألفاظ (فارقته) (لزمته): أفعال متضادة توحي بحركة مزدوجة بين الانفصال والاتصال. (فارقته) تدل على الانقطاع الحسي والموت، "الفَرقُ: تفريقٌ بين شيئين فرقاً حتى يَفترِقا ويَتَفَرَّقا. وتَفَارقَ القوم وافتَرَقوا أي فارق بعضهم بعضاً"[٨٥]. و(لزمته) تشير إلى الاتصال المعنوي والروحي أو حتى المكاني (ملازمة القبر)، وهو "يَدُلُّ عَلَى مُصَاحَبَةِ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ دَائِمًا. يُقَالُ: لَزِمَهُ الشَّيْءُ يَلْزَمُهُ"[٨٦]، هذا التضاد اللفظي يعمق الأثر العاطفي، ويجعل المعنى أكثر حضورًا.

وفي موضع آخر يتناول الشاعر ابن الرومي فلسفة الحياة ومفارقاتها، فيربط بين بكاء الطفل عند ولادته وبين ما تحمله الدنيا من صروف ونوائب، فيرى أن هذا البكاء ليس إلا نذيرًا بما سيواجهه الإنسان من مصاعب، رغم أن الدنيا أوسع وأفسح من عالم الرحم، فيقول:

ما تؤذن الدّنيا به من صروفها يكــون بكــاء الطّفــل ســاعة يولــد

وإلاّ فمــا يبكيــه منهــا وإنّهــا لأفســح ممّــا كــان فيــه وأرغــد

إذا أبصر الدنيا استهل، كأنه لما سوف يلقى من أذاها مهدد!(٨٧)

في البيتين تأمل فلسفي عميق يكشف عن نزعة ابن الرومي التشاؤمية ووعيه الحاد بطبيعة الحياة. يبدأ البيت الأول باستفهامٍ استنكاري ضمني، فيربط بين لحظة الميلاد – التي يُفترض أن تكون بداية فرح – وبين إشارة مبكرة لما ينتظر المولود من أحداث مؤلمة وتقلبات الزمان. فكأن الطفل، ببكائه، يعلن حدادًا مسبقًا على ما سيلقاه من متاعب، حيث علّلَ الشاعر بكاء الطفل ساعة إبصار الدنيا بأنه مُهَدَّدٌ بما سوف يلقاه من أذاها ولكنه قد بنى العلة على الشك، فكان ملحقاً بحسن التعليل وليس به(٨٨).

وهكذا يمتاز شعر ابن الرومي بالوضوح الذي جعله يستقصي أطراف الفكرة حتى تتضح من جميع جوانبها؛ فهو رجل منطق، ورجال المنطق يعشقون البيان الواضح، ولعله من أجل ذلك كان شعره يمتاز بالطول، فهو يستقصي ويتعمّق في عرض أفكاره، حتى تبرز بروزاً دقيقاً"(٨٩).

أما البيت الثاني فيكمل المفارقة، إذ يعجب الشاعر من سبب بكاء الطفل رغم انتقاله من ضيق الرحم إلى سَعة الدنيا ورغدها. هذا التناقض بين ظاهر الأمور (اتساع الدنيا) وحقيقتها (امتلاؤها بالمحن) يبرز قدرة الشاعر على توظيف المفارقة البلاغية لتمرير رؤيته السوداوية، فالعلامات البارزة في قصائد ابن الرومي هي طول نفسه وشدّة استقصائه للمعنى واسترساله فيه، وبهذا الاسترسال خرج عن سنّة النظّامين الذين جعلوا البيت وحدة النظم، وجعلوا القصيدة أبياتاً متفرقة يضمها سمط واحد قلَّ أن يطرد فيه المعنى إلى عدَّة أبيات(٩٠).

وفي موضع آخر الشاعر يريد أن يقول إن بكاءه ليس أمرًا غريبًا أو مثيرًا للعجب، فدموعه لم تنبع من لين أو ضعف، بل من حرقة وجدانية عميقة تشبه النار المشتعلة في داخله، حتى صار الماء (الدمع) نتيجة مباشرة لهذه النار، فيقول:

لا تعجبا أنّ دمعا فاض عن حرق ماء أفاضته نار من مراجله(٩١)

استخدم الشاعر مفردات حسية واضحة توحي باللين والرقة، (دمعاً)؛ لكنها انقلبت لشيء عنيف (النار)، ممّا خلق مفارقة مثيرة، كما واستخدم لفظة قوية تدل على شدة الألم النفسي (حرق)، والحرق معناه " إيقاع حرارة في الشيء من غير لهيب، كحرق الثوب بالدّق، وحَرَقَ الشيء: إذا برده بالمبرد"(٩٢)، تربط بين الدمع والنار في دلالة شعورية متماسكة، فضلاً عن

استخدامه ألفاظاً متضادة حسياً (ماء) و(نار)؛ فجعلها الشاعر في علاقة سببية؛ فالماء هنا هو الدمع، والنار هي حرقة الفؤاد، وهو جمع بين النقيضين في صورة واحدة.

أما من ناحية التراكيب، فقد قام البيت على جملة تقريرية تبدأ بالنهي عن التعجب، ثم يفسر سبب عدم التعجب بربط الدمع بالنار، وجملة (ماء أفاضته نار) تقوم على مفارقة بلاغية تجمع بين المتضادين (الماء والنار)؛ لكنها تجعل أحدهما سبباً في الآخر، وهذا أسلوب مميز في الشعر العباسي في تصوير المشاعر المعقدة، وخصوصاً ابن الرومي الذي "يمتلك قدرة على خلق الأشكال للمعاني المجردة، أو خلق الرموز لبعض الأشكال المحسوسة، فإنّ القدرة التي سبق بها الشعراء في الأمم كافة هي قدرته البالغة على نقل الأشكال الموجودة كما تقع في الحس والشعور والخيال، أو هي قدرته على التصوير المطبوع"[٩٣].

ونراه في موضع آخر يشكو ويصور حالة أرقٍ مزمنة تحرمه من الراحة، فيقول:

لم يسترحْ من له عينٌ مؤرقةٌ وكيف يعرف طعمَ الرَّاحةِ الأرِقُ[٩٤]

يدور البيت حول معاناة السهر والأرق، وإبراز أنّ من يعانيه لا يمكن أن يعرف طعم الراحة، الشاعر يربط بين التجربة الحسية (الأرق وقلة النوم) وبين نتيجتها النفسية (الحرمان من الراحة)، فيجعل البيت صورة صادقة لمعاناة متواصلة لا انفراج فيها، كما وعبّر الشاعر عن استمرار حرمانه من الراحة، وكأنه قدر دائم، باستخدام الفعل المضارع المنفي (لم يسترح)، وانتهت قافية البيت بلفظة (الأرق)، وهو "نفار النوم ليلاً"[٩٥]، وهي لفظة قوية في إيقاعها، فهي تنتهي بحرف القاف الانفجاري الذي يوحي بالانقطاع والصرامة، وكأنّه يعكس حدة السهر وقسوته.

هذا واستخدم الشاعر تراكيب تمثلت في الجمل الشرطية والخبرية والاستفهامية، ففي قوله (لم يسترح من له عين مؤرقة) هي جملة شرطية معنىً، خبرية لفظاً، تجمع السبب والنتيجة؛ فالأرق سبب دائم لغياب الراحة، وجملة (وكيف يعرف طعم الراحة الأرق)، أسلوب إنشائي استفهامي غرضه الإنكار، أي استحالة معرفة الراحة لمن يعاني الأرق، فالجمع بين الجملتين جعل البيت قائماً على التقرير ثم التعليل، وهو أسلوب منطقي يقوّي المعنى.

وفي موضع آخر يتناول ابن الرومي صراع المشاعر الداخلية بين الألم الماضي والحزن المتجدد، فنراه يرسم صورة حسية لوجدانه في صورة جمرة مشتعلة بين ضلوعه، متسائلًا: أهو لهيب على ما مضى وانقضى، أم هو حزن يتجدد كل لحظة؟ فيكشف عن استمرار المعاناة وعدم انطفائها، مهما مر الزمن، فيقول:

أبَـينَ ضـلوعي جمـرةٌ تتوقَّـد على ما مضى أم حسرةٌ تتجددُ[٩٦]

عبّر الشاعر عن عمق حزنه الشديد من خلال التركيب المكاني (أبينَ ضلوعي) الذي يحدد موضع الألم في القلب والصدر، وهو تعبير عن شدة الوجدان الداخلي، كما واستخدم لفظة حسية قوية الإيحاء (جمرة) وهي جمر النار المتقدة[٩٧]، التي توحي بحرارة الألم المتّقد في الداخل، وهي استعارة صريحة عن الحزن والحرقة النفسية، وعبر باستمرارية اشتعال هذه النار في صدره بالفعل المضارع (تتوقّد)، وكأنّ الالم حاضر ومتجدد بلا انقطاع، ويدل على هذا التجدد الفعل (تتجدّد) في نهاية البيت، كما واستخدم لفظة (حسرة) وهي لفظة شعورية ثقيلة أقوى من الحزن العادي، وهو غمٌّ متجدد لفوت فائدةٍ[٩٨]، والتلهُّف على الشيء الفائت[٩٩]، وهو ألم مصحوب بالندم أو فقدان ما لا يعوض.

وافتتح البيت بالاستفهام (أبينَ ضلوعي جمرة) يجعل المعنى حوارياً داخلياً، كأنّ الشاعر يخاطب نفسه متألماً ما يعانيه، كما واستخدم تركيباً يعطي إحساساً بالحزن التاريخي البعيد، بينما (تتجدّد) تشير إلى آلام الحاضر، ممّا يربط العاطفة بين بُعدَين زمنيين.

الجدير بالذكر أنّ ابن الرومي في هذه القصيدة قد التزم الفتحة قبل الرَّوي، وعلى هذا النمط نجده يُصعِّب على نفسه في قوافيه وحركاتها؛ بل إنّه يصعِّب على نفسه في حروفها أيضاً[١٠٠]، وهذه السمة في قصائده تتناسب مع غرضها الذي في دلالة على الصِّعاب والحرقة والحزن الشديد.

من خلال تحليل الألفاظ والتراكيب في شعر ابن الرومي، يتضح أن لغة الحزن لديه ليست مجرد زخرف أسلوبي، بل هي تعبير صادق عن تجربة وجودية عميقة. فقد اعتمد الشاعر على ألفاظ صريحة مثل الحزن، الدمع، الأسى، الفقد، وعلى تراكيب مشبعة بدلالات الانكسار والخذلان، فضلاً عن الصور البلاغية التي جعلت الحزن كائنًا حيًّا يتنفس في نصوصه. إنّ كثافة الألفاظ الحزينة، وتكرارها في سياقات شرطية واستفهامية وتقابلات لفظية، تعكس حالة من الاحتجاج الصامت على قسوة الحياة، وتجعل النص الشعري ساحةً يلتقي فيها الوجدان الفردي بالبعد الإنساني العام. وهكذا تكشف لغة ابن الرومي عن تلاحم المعجم الشعوري مع البنية الفنية، بحيث يصبح الحزن طابعًا بنيويًا مهيمنًا على تجربته الشعرية، لا ينفصل فيها الشكل عن المضمون، ولا اللغة عن الانفعال.

المطلب الثاني: الصور البلاغية والأساليب التعبيرية في لغة الحزن

لا يقتصر التعبير الشعري عن الحزن عند ابن الرومي على الألفاظ والتراكيب المباشرة، بل يتجاوز ذلك إلى توظيف طاقات البلاغة العربية وأساليبها التعبيرية التي تمنح النص أبعاداً فنية ودلالية أعمق. فالبلاغة في جوهرها ليست زخرفاً لفظياً، بل وسيلة فنية للتأثير والإقناع

وكشف الانفعالات الداخلية للشاعر. وقد بيّن عبد القاهر الجرجاني في نظريته حول النظم أنّ سر البلاغة يكمن في العلاقة بين الألفاظ والمعاني، وفي كيفية صياغة الصورة التي تُحدث أثراً في المتلقي(١٠١)، ومن هنا فإنّ دراسة الصور البلاغية في شعر ابن الرومي تمثل مدخلاً أساسياً لفهم كيفية تمثيله للحزن وإلباسه صوراً حسية ملموسة. ومن ثمّ، فإنّ هذا المطلب يقف على الصور البلاغية التي ابتكرها ابن الرومي، والأساليب التعبيرية التي اعتمدها في بناء لغة الحزن، بغية الكشف عن طاقة الصورة والإنشاء في تشكيل تجربته الشعرية، وإبراز مدى أصالتها وجماليتها في نقل الانفعال.

من ضمن قصائد ابن الرومي التي تجلّى فيها الحزن الذاتي العميق، حيث يلتقي الجانب الوجداني (فقد النفس ومعاناتها) بالجانب البلاغي (الاستعارة والتشخيص والتقابل). وهما من أبرز الأمثلة على لغة الحزن في شعره، ويُستشهد بهما في كتب الأدب والبلاغة عند الحديث عن التشخيص البلاغي للدهر أو عن نزعة التشاؤم عند ابن الرومي، يقول فيها:

رأيت الدّهر يجرح ثمّ يأسو يعرّض أن يسلّي أو ينسّي

أبت نفسي الهلوع لفقد شيء كفى رزءا لنفسي فقد نفسي(١٠٢)

بهذين البيتين يصوّر ابن الرومي معاناته مع تقلّبات الزمان، إذ لجأ إلى التشخيص حين جعل الدهر كائنًا فاعلًا يقوم بفعل مزدوج: يجرح ثم يداوي، غير أنّ هذا (الدواء) المزعوم ليس إلّا تلطيفًا وقتيًا يوحي بالتسلية أو النسيان، مما يعمّق الإحساس بالمفارقة ويبرز لغة التهكم المبطّنة بالحزن. وهنا يظهر الطباق بين (يجرح / يأسو)، وجرحه "أثر فيه بالسلاح؛ وجرحه: أكثر ذلك فيه"(١٠٣)، والأسى و"هُوَ الْحُزْنُ؛ يُقَالُ: أَسِيتُ عَلَى الشَّيْءِ آسَى أَسًى، أَيْ: حَزِنْتُ عَلَيْهِ"(١٠٤)، ليعكس ازدواجية التجربة الإنسانية بين الألم والشفاء، غير أنّ الغلبة تبقى للأول، مما يزيد وقع الحزن.

وفي البيت الثاني نلحظ مبالغة تعبيرية حين يجعل الشاعر نفسه (هلوعًا) لا تحتمل فقد الأشياء، ثم يرفع منسوب الأسى إلى أقصاه بإيجاد صورة بلاغية مكثفة في قوله: (كفى رزءًا لنفسي فقد نفسي)، إذ ينتج عن هذا التعبير مفارقة بلاغية تقوم على فقد النفس ذاتها، وهو ما يعكس قمة الاغتراب واليأس. هذه الصورة تُعدّ من صور المفارقة البلاغية التي تحمل بعدًا فلسفيًا عميقًا، إذ لا يمكن للعقل أن يتصور فقد النفس إلا باعتباره رمزًا لذوبان الذات وفنائها.

كما أنّ اختيار الألفاظ (يجرح – يأسو – الهلوع – الرزء – فقد) يجسد حقلًا دلاليًا للحزن، تتآزر فيه المفردات لتشيع جوًا من الكآبة والخيبة الوجودية. وأنّ ابن الرومي كان يميل إلى "التكثيف البلاغي الذي يجمع بين التشخيص والمفارقة لإبراز الحزن، حيث يظهر الدهر

بصورة الكائن الذي يعذّب ثم يوهم بالشفاء، بينما تتجلى الذات في صورة مأسوية تصل إلى حد الانكسار أمام فقدان نفسها"[١٠٥].

فتضمن البيتان صور بلاغية كثيرة، هي: التشخيص (إسناد الفعل للدهر)، والطباق (يجرح/يأسو)، والمفارقة البلاغية (فقد النفس نفسها)، والألفاظ الحزينة ذات الحقل الدلالي المكثف.

وفي نهي الوالي والقادر عن الظلم، قيل: لا ينبغي للإمام أن يكون جائرا ومن عنده يلتمس العدل، ولا للعالم أن يكون سفيها ومن عنده يلتمس العلم والحلم. وقيل: إذا ظلمت من دونك عاقبك من فوقك[١٠٦]، قال ابن الرومي:

وإن الظلـــم مـــن كـــلّ قبـــيح وأقبح ما يكون من النبيه[١٠٧]

هو جزء من قصيدة شهيرة لابن الرومي، ويُعبّر عن استنكار الشاعر للظلم، خاصةً عندما يصدر من شخصٍ ذو مكانةٍ أو علمٍ. البيت يُظهر الحزن والأسى على انحراف الأخلاق، ويُبرز التناقض بين الفضيلة والظلم. فاستخدم التكرار (من كلّ قبيحٍ) و(من نبيه) الذي يُعزّز من قوة الاستنكار ويُظهر حجم الفاجعة، وجاء به للدلالة على تأكيد المعنى المراد إيصاله، ولتقرير المعنى في نفس السامع وتثبيته[١٠٨]، واستخدم المقارنة بين الظلم وكلّ قبيح، ثم التخصيص بـ(من نبيه)، تُظهر أن الظلم في هذه الحالة أكثر قبحًا من غيره. فالبيت يُعبّر عن خيبة أمل الشاعر في شخصٍ كان يُفترض أن يكون قدوةً، مما يُثير مشاعر الحزن والأسى.

وفي المستنصر بمن يضره، يقول ابن الرومي:

كـــان كمـــن خـــاف حريقـــا واقعـــا فـــزاد فيـــه حطبـــا علـــى حطـــب[١٠٩]

هذا البيت يعكس حزنًا وقلقًا نفسيًا ناشئين عن تجربة الخوف المستمرة من المصائب، إذ يصوّر الشاعر الإنسان الذي يعيش حالة من القلق الداخلي المسبق، كأنه يتوقع وقوع الضرر في أي لحظة. هذا التصوير يعكس شعورًا بالمرارة واليأس، وهو حزن وجداني مرتبط بالخبرة الإنسانية للمعاناة، حيث يزيد الإنسان من معاناته بنفسه أحيانًا، كما في البيت: إذ إن الفعل (زاد فيه حطبًا على حطب) يوحي بتفاقم الأذى الذاتي نتيجة الهلع والخوف.

استخدام الشاعر التشبيه الذي يتجلى في لفظة (كمن) وهو يُبرز تشبيه حالة الإنسان بالحريق المحتمل. هذا التشبيه يوضح الخوف المستمر والتوقع السلبي، ويجعل القارئ يشعر بالهلع المترتب على الظرف النفسي للشاعر، وهذا "التشبيه من جهة الهيئة نحو: أنه مستوٍ منتصبٌ مديدٌ، كتشبيه قامة الرَّجل بالرمح، والقَدِّ اللطيفِ بالغصن ويدخل في الهيئةِ حالُ

الحركات في أجسامها، كتشبيه الذاهب على الاستقامة بالسَّهم السديد، ومَنْ تأخذه الأريحيّةُ فَيهتزُّ بالغصن تحت البارح، ونحو ذلك"[١١٠].

كما واستخدم الشاعر التكرار المتجلي في لفظة (حطب)، وهو يُبرز الكثافة، ويُضفي إيقاعًا صوتيًا يحاكي تراكم المخاوف. وهو جناس لفظي جزئي تام، وهو ما اتفق فيه اللفظان المتجانسان في نوع الحروف وعددها وهيئتها الحاصلة من الحركات والسكنات، مما يزيد وقع البيت العاطفي[١١١].

وفي موضع آخر لقد اختار ابن الرومي أن يرسم لوحته الشعرية بريشة تمتزج فيها الزخرفة اللفظية بالصور البلاغية، فاستعار من عالم الإنسان ما يعبّر به عن حركة الكون وألوان الطبيعة. فجعل من الغروب مشهد احتضار، ومن الشفق دمعة مودّعة، ومن الزهر مريضًا يئن في فراش الألم. وهكذا اتكأ على التشبيه والاستعارة، محولًا بهاء الطبيعة إلى مأساة وجودية، ومظهر الجمال إلى رمز للفناء والزوال. لقد كان انشغاله بالمماثلة بين صفرة الأفق وذبول المرضى انعكاسًا عميقًا لرؤيته الحزينة للعالم، حيث تتوارى لحظة الجمال خلف ستائر الألم[١١٢]، فيقول:

إذا رنقت شمس الأصيل ونفضت على الأفق الغربي ورسا مزعزعا
وودعت الدنيا لتقضي نحبها وشول باقي عمرها فتسعسعا
ولاحظت النوار وهي مريضة وقد وضعت خدًا إلى الأرض أضرعا
كما لاحظت عوادها عين مدنفٍ توجع من أوصابه ما توجعا[١١٣]

لقد اتخذ ابن الرومي من التشبيه والاستعارة جسراً للتعبير عن انفعاله الحزين، فجاءت ألفاظه مشبعة بالأسى، وصوره البلاغية متوشحة بالكآبة، حتى بدا وكأن اللغة نفسها تبكي معه. ففي هذه الأبيات، يُشبِّه غروب الشمس بوداع الدنيا عند احتضارها، إذ تتراءى "شمس الأصيل" كشيخٍ يودّع الحياة وقد أرهقته السنون، بينما يصف الأفق الغربي بما يشبه الجثمان المثقل المترنح، في استعارة مفعمة بالإيحاء بالموت والفناء. ثم يواصل رسم صور الحزن عبر "النوار المريضة" التي ألقت خدها على الأرض ذليلة، وكأنها مريضة أنهكها السقم، وهذه استعارة تجسد ضعف الحياة وتلاشيها. أما قوله: "كما لاحظت عوادها عين مدنفٍ..." ففيه مقابلة بين الزهر المريض والمريض الحقيقي، ليوحد بينهما في مصير الألم والفناء، وليجعل من الطبيعة مرآةً صادقةً لآلامه النفسية. وهكذا تتجلى قوة الصورة البلاغية عند ابن الرومي في قدرته على أن

يجعل الطبيعة الحية انعكاسًا لحزنه الداخلي، مستفيدًا من رصيد البلاغة العربية الذي ورثه عن أبي تمام وأضرابه، لكنه صاغه بطابع مأساوي يخص تجربته الشعورية وحده[١١٤].

وقال ابن الرومي يتشوّق إلى بغداد:

بلد صحبت به الشبيبة والصّبا ولبست ثوب العيش وهو جديد

فإذا تمثل في الضمير رأيته وعليه أغصان الشباب تميد[١١٥]

يصف الشاعر بغداد بأنها بلد الصحبة والشباب يوحي بالحنين والشوق، مما يخلق شعورًا داخليًا بالحزن على الأيام الخوالي، واستخدم التشخيص؛ فالشاعر يجعل المدينة تمثل الشباب والحياة، كما في (فإذا تمثل في الضمير رأيته)، فيقحم المكان في التجربة النفسية، ويتمثَّل التشخيص في خلع الحياة على المواد الجامدة، والظواهر الطبيعية هذه الحياة التي ترتقي فتصبح حياة إنسانية، ويهب لهذه الأشياء كلها عواطف آدمية، وخلجات إنسانية تشارك بها الآدميين، وتأخذ منهم وتعطي[١١٦]، مما يعمق أثر الحنين والحزن.

كذلك استخدم الشاعر التشبيه، وذلك في (وعليه أغصان الشباب تميد)، وهو تشبيه للشباب بالأغصان التي تتأرجح، لتوضيح سرعة الزوال وتقلبات العمر، وهو أسلوب بصري وحسي يعكس الحزن على الفقد والاعتلال الطبيعي للزمن، فجاء التشبيه هنا للدلالة على مشاركة شيءٍ لشيءٍ في معنىً من المعاني أو أكثر على سبيل التطابق أو التقارب لغرضٍ ما[١١٧].

يتضح ممّا سبق أنّ لغة الحزن عند ابن الرومي تتجلى عبر توظيف الصور البلاغية والأساليب التعبيرية التي تمنح النص عمقًا وجدانيًا وفنيًا. فالشاعر يستخدم التشبيه والاستعارة والتشخيص والمفارقة لإضفاء بعد حيّ على أحاسيسه الحزينة، مما يجعل الانفعال النفسي ملموسًا للمتلقي. ومن خلال هذه الأساليب، تتحول الكلمات إلى وسيلة لتصوير الألم والفقد والحنين، بما يبرز أصالة التجربة الشعرية لابن الرومي ويعكس قدرته على التعبير عن الحزن بأسلوب متكامل وجمالي.

النتائج

بعد هذه الجولة البحثية في شعر ابن الرومي وما تجلى فيه من ألوان الحزن وأبعاده، يمكن القول إن الحزن لم يكن مجرد انفعال عابر في تجربته، بل شكّل بنية شعورية ولغوية أصيلة في إبداعه الشعري، ارتبطت أشد الارتباط بظروف حياته الخاصة ومعاناته الوجودية والاجتماعية. لقد عاش ابن الرومي محاطًا بآلام المرض والفقد والحرمان، فضلًا عن إحساسه الدائم بالغربة في مجتمعه، فكان شعره انعكاسًا صادقًا لهذه التجربة المأساوية.

وقد أسفر البحث عن عدد من النتائج، يمكن إجمالها فيما يأتي:

١.الحزن الذاتي عند ابن الرومي ارتكز على ثلاثة محاور رئيسة: المرض الذي أضفى على شعره طابع الشكوى والأنين، والحرمان الذي عمّق شعوره بالخذلان، والفقد الذي فجّر طاقاته العاطفية وجعل رثاءه من أصدق ما قيل في الشعر العربي.

٢.الحزن الاجتماعي تجلّى في إحساسه بالاغتراب وسط عصر مضطرب، وشعوره بعدم الانسجام مع واقعه، إضافةً إلى ذمه الحياة الدنيا وتحقيره لمباهجها الزائلة، وهو ما منح شعره بعدًا فلسفيًا تأمليًا يتجاوز حدود التجربة الفردية.

٣.من الناحية اللغوية، اعتمد ابن الرومي على ألفاظ وتراكيب مشبعة بدلالات الحزن، جاءت صريحة حينًا ورمزية حينًا آخر، وقد كثرت في شعره مفردات مثل: الدمع، الهم، الغربة، الموت... إلخ، مما منح نصوصه طابعًا وجدانيًا صادقًا.

٤.تميز أسلوبه بقدرة على توظيف الصور البيانية لتكثيف المعنى الحزين، فجاءت الاستعارات والتشبيهات والكنايات معبّرة عن معاناته، ومجسدة لحالة نفسية تتأرجح بين الانكسار والاحتجاج.

٥.كشفت الدراسة أن الحزن في شعر ابن الرومي يتجاوز كونه تجربة شخصية ليغدو رؤية شاملة تعكس أزمة الإنسان في مواجهة المرض والفقد والمجتمع والحياة الدنيا، وهو ما يجعل تجربته ذات صلة بالدراسات النفسية والاجتماعية والأدبية معًا.

٦.وظّف الشاعر ابن الرومي الصور البلاغية والأساليب التعبيرية كأداة أساسية لنقل تجربة الحزن، بحيث تتحول الكلمات إلى مرآة للانفعال النفسي، وتعكس عمق الألم والفقد والحنين. فالتشبيه والاستعارة والتشخيص والمفارقة لا تكتفي بتجميل النص، بل تخلق أفقًا وجدانيًا يتيح للمتلقي المشاركة في الشعور بالحزن، مما يدل على أصالة التجربة الشعرية للكاتب ومهارته في التعبير عن الانفعال بأسلوب متكامل وفني.

٧.وبناءً على ذلك، يتبين أن الحزن لم يكن عند ابن الرومي مجرد مكوّن شعوري عارض، بل كان جوهرًا مهيمنًا على لغته وانفعاله، حتى صار علامة فارقة في إنتاجه، ومفتاحًا أساسًا لفهم شخصيته الفنية والإنسانية.

الهوامش:

(١) الجوهري الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد (٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج٥، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت: دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٨٧، ص ٢٠٩٧ – ٢٠٩٨ .

(٢) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (٣٩٥هـ)، مقاييس اللغة، ج٢، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت: دار الفكر، ١٩٧٩، ص ٥٤ .

(٣) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد (٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دمشق – بيروت: دار القلم، ١٩٩١، ص ٢٣١ .

(٤) الجرجاني، علي بن محمد الشريف (٨١٦هـ)، التعريفات، ضبط وصحح جماعة من العلماء بإشراف الناشر، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٢، ص ٨٦ .

(٥) التونجي، محمد، المعجم المفصل في الأدب، بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢، ١٩٩٩، ص ٣٦٢ .

(٦) البركتي، محمد عميم الإحسان المجددي (١٠٤٠هـ)، التعريفات الفقهية، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣، ص ٧٩ .

(٧) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران ٣٩٥هـ)، الفروق اللغوية، ج١، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، القاهرة: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٩٨، ص ٢٦٧ .

(٨) الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ٥٩٧هـ)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج١٢، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٢، ص ٣٦٤ .

(٩) شوقي ضيف، أحمد شوقي عبد السلام (١٤٢٦هـ)، تاريخ الأدب العربي، ج٤، القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٥، ص ٢٩٦ .

(١٠) ابن الرومي (٢٨٣هـ)، ديوان ابن الرومي، تحقيق: حسين نصّار، القاهرة: مطبعة دار الكتب والوثائق القومية – مركز تحقيق التراث، ط٣، ٢٠٠٣، ص ٢١٠٦ .

(١١) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، مصدر سابق، ج ٤ / ص ٢٩٧ .

(١٢) ديوان ابن الرومي، ص ٢١٣٠ .

(١٣) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، مصدر سابق، ج٤/ ص ٢٩٧ .

(١٤) ديوان ابن الرومي، ص ١٤٧٠ .

(١٥) البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب (٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد وذيوله، ج١٢، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٦، ص ٢٤ .

(١٦) ناظم رشيد، الأدب العربي في العصر العباسي، الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر – جامعة الموصل، ١٩٨٩، ص ١٣١ .

(١٧) المصدر نفسه، ص ١٣٢ .

(١٨) شوقي ضيف، أحمد شوقي عبد السلام (١٤٢٦هـ)، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، القاهرة: دار المعارف، ط١٢، ٢٠٠٦، ص ٢٠٠– ٢٠١ .

(١٩) ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، جمال الدين ٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة، ج٣، وزارة الثقافة والإرشاد القومي – دار الكتب، ١٩٨٧، ص ٩٦ .

(٢٠) المسعودي، علي بن الحسين ٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٤، دمشق: دار الفكر، ١٩٧٣، ص ١٩٤ .

(٢١) ناظم رشيد، مصدر سابق، ص ١٣٢ – ١٣٣ .

(٢٢) فروخ، عمر (١٤٠٧هـ)، تاريخ الأدب العربي، ج٣، بيروت: دار العلم للملايين، ط٣، ١٩٨٥، ص ٢٨٢.

(٢٣) الحصري القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن علي ٤٥٣هـ)، زهر الآداب وثمر الألباب، ج٢، تحقيق: يوسف علي طويل، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧، ص ١٧٢ .

(٢٤) شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، مصدر سابق، ص ٢٠٤ .
(٢٥) العقاد، عباس محمود ١٣٨٤هـ)، ابن الرومي حياته من شعره، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢، ص ١٢.
(٢٦) شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، مصدر سابق، ص ٢٠١ .
(٢٧) العقاد، مصدر سابق، ص ٩٣ .
(٢٨) ديوان ابن الرومي، ص ٦٢٩ .
(٢٩) العقاد، مصدر سابق، ص ٩٤ .
(٣٠) ديوان ابن الرومي، ص ٥٨٦ .
(٣١) العقاد، مصدر سابق، ص ١٠٠ – ١٠١ .
(٣٢) العقاد، مصدر سابق، ص ١٠٢ .
(٣٣) العقاد، مصدر سابق، ص ١٠٣ .
(٣٤) ديوان ابن الرومي، ص ٢١٦ .
(٣٥) العقاد، المصدر السابق، ص ١٢٨ .
(٣٦) ديوان ابن الرومي، ص ٢٦١ .
(٣٧) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، المصدر السابق، ج٤ / ص ٣١٧ .
(٣٨) ديوان ابن الرومي، ص ٢٤٤٨ .
(٣٩) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، المصدر السابق، ج٤ / ص ٣١٨ .
(٤٠) ديوان ابن الرومي، ص ١٠٨٩ .
(٤١) المصدر نفسه، ص ١١٨ .
(٤٢) المصدر نفسه، ص ٦٣٢ .
(٤٣) المصدر نفسه، ص ٢١٠٩ .
(٤٤) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، المصدر السابق، ج٤ / ص ٣١٨ .
(٤٥) ديوان ابن الرومي، ص ١٦٢٠ .
(٤٦) شوقي ضيف، المصدر السابق ، ج٤/ ص ٣١٨ .
(٤٧) المصدر نفسه، ج٤/ ص ٣٢٤ .
(٤٨) المصدر نفسه، ج٤ / ص ٣٢٤ .
(٤٩) المصدر نفسه، ج٤ / ص ٣٢٤ .
(٥٠) ناظم رشيد، المصدر السابق، ص ١٣٦ .
(٥١) ديوان ابن الرومي، ص ٦٢٤ .
(٥٢) شوقي ضيف، المصدر السابق ج٤ / ص ٣٠١ ؛ و العقاد، المصدر السابق، ص ١١٤ – ١١٥ .
(٥٣) العقاد، المصدر السابق، ص ١٢٧ .
(٥٤) عطية، عبد الغفار عبد العزيز عبد الغفار، الذات والآخر في شعر ابن الرومي: دراسة تحليلية، مجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود، العدد ٣٦، الإصدار الثالث، ٢٠٢٣، ص ٥٩ .
(٥٥) ديوان ابن الرومي، ص ٢٨٣ .
(٥٦) ناظم رشيد، المصدر السابق، ص ١٣٧ .
(٥٧) ديوان ابن الرومي، ص ١٨٤٣ .

(٥٨) المصدر نفسه، ص ٣٢٧ .
(٥٩) عطية، المصدر السابق، ص ٥٨ .
(٦٠) ديوان ابن الرومي، ص ٢٦١٨ .
(٦١) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، المصدر السابق، ج٤ / ص ٣٠٥ .
(٦٢) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، المصدر السابق، ج٤ / ص ٣٠٩ .
(٦٣) ديوان ابن الرومي، ص ١٢١ .
(٦٤) المصدر نفسه، ص ٧٦٢ .
(٦٥) المصدر نفسه، ص ٢٦٣٩ .
(٦٦) المصدر نفسه، ص ٦٢ .
(٦٧) عطية، المصدر السابق، ص ٣٤ .
(٦٨) ديوان ابن الرومي، ص ١٩٢ .
(٦٩) شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، المصدر السابق، ص ٢٠٠ .
(٧٠) ديوان ابن الرومي، ص ٢١٣٥ .
(٧١) ابن فارس، المصدر السابق، ج٣ / ص ٤٣٥ .
(٧٢) المصدر نفسه، ج٥ / ص ٤٥٣ .
(٧٣) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين ٧١١هـ)، لسان العرب، ج١٤، بيروت: دار صادر، ط٣، ١٩٩٤، ص ٣٢٧ .
(٧٤) ديوان ابن الرومي، ص ٦٧٨ .
(٧٥) ابن منظور، المصدر السابق، ج٨ / ص ٩٢ .
(٧٦) الفراهيدي، الخليل بن أحمد ١٧٠هـ)، العين، ج٧، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٤، ص ٣٢٧ .
(٧٧) الفراهيدي، المصدر السابق، ج٢ / ص ١٦٣ .
(٧٨) السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي الخوارزمي الحنفي، أبو يعقوب (٦٢٦هـ)، مفتاح العلوم، ج١، ضبطه وعلق عليه: نعيم زرزور، بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢، ١٩٨٧، ص ٣٠٧.
(٧٩) عوني، حامد، المنهاج الواضح للبلاغة، ج٢، القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث، ٢٠١٧، ص ١٠٨ .
(٨٠) ديوان ابن الرومي، ص ٦٢٦ .
(٨١) ابن فارس، المصدر السابق، ج١ / ص ١٠٦ .
(٨٢) الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور (٨٥٢هـ)، المستطرف في كل فن مستطرف، بيروت: عالم الكتب، ١٩٩٨، ص ٤٣٧ .
(٨٣) ديوان ابن الرومي، ص ١٩٩ .
(٨٤) ابن منظور، المصدر السابق ج١٠ / ص ١٨٣ .
(٨٥) الفراهيدي، المصدر السابق، ج٥ / ص ١٤٧ .
(٨٦) ابن فارس، المصدر السابق، ج٥ / ص ٢٤٥ .
(٨٧) ديوان ابن الرومي، ص ٦١٥ .
(٨٨) الجناجي، حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرازق، من قضايا البلاغة والنقد عند عبد القادر الجرجاني، ج١، القاهرة: مكتبة الشباب، ص ٢٢٥ .

(٨٩) شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، المصدر السابق، ص ٢٠٥ .

(٩٠) المصدر نفسه، ص ٢٠٦ ؛ و العقاد، المصدر السابق، ص ١٩٤ .

(٩١) ديوان ابن الرومي، ص ١٩٣١ .

(٩٢) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد (٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دمشق – بيروت: دار القلم، ١٩٩١، ص ٢٢٩ .

(٩٣) العقاد، المصدر السابق، ص ٢٣٧ .

(٩٤) ديوان ابن الرومي، ص ١٦٦٨ .

(٩٥) ابن فارس، المصدر السابق، ج١ / ص ٨٢ .

(٩٦) ديوان ابن الرومي، ص ٧٩٦ .

(٩٧) ابن فارس، المصدر السابق ج١ / ص ٤٧٧ .

(٩٨) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (٣٩٥هـ)، الفروق اللغوية، ج٢ ، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، القاهرة: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٩١، ص ٦٢ .

(٩٩) ابن فارس، المصدر السابق، ج٢ / ص ٦٢ .

(١٠٠) شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، المصدر السابق، ص ٢١٦ .

(١٠١) الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن (٤٧١هـ)، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠١، ص ٩٣ .

(١٠٢) ديوان ابن الرومي، ص ١٢٤٢ .

(١٠٣) ابن منظور، المصدر السابق، ج٢ / ص ٤٢٢ .

(١٠٤) ابن فارس، المصدر السابق، ج١ / ص ١٠٦ .

(١٠٥) حسين، محمد سعيد، الصورة الفنية في شعر ابن الرومي، القاهرة: كلية دار العلوم – جامعة القاهرة، ١٩٩٣، ص ٢١٢ – ٢١٤ .

(١٠٦) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد (٥٠٢هـ)، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ج١، بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط١، ٢٠٠٠، ص ٢٠٧ .

(١٠٧) ديوان ابن الرومي، ص ٢٦٢٥ .

(١٠٨) الجارم، علي (١٣٧٨هـ) وأمين، مصطفى (١٤١٨هـ)، البلاغة الواضحة في البيان والمعاني والبديع ويليه دليل البلاغة الواضحة، تحقيق: قاسم النوري، دمشق: دار الفجر، ط١، ٢٠١٤، ص ٢٧٨ .

(١٠٩) ديوان ابن الرومي، ص ٢٧٢ .

(١١٠) الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن ٤٧١هـ)، أسرار البلاغة، قراءة وتعليق: محمود محمد شاكر، القاهرة – جدة: مطبعة المدني – دار المدني، ١٩٣٥، ص ٩٠ .

(١١١) الهاشمي، أحمد، البلاغة العربية: دراسة في الجناس والوزن والإيقاع الصوتي، ج، ١بيروت: دار الفكر، ١٩٩٠، ص ٣٢٦.

(١١٢) المجذوب، عبد الله بن الطيب بن عبد الله (١٣١٣)، المرشد إلى فهم أشعار العرب، ج٤، الكويت: دار الآثار الإسلامية – وزارة الإعلام الصفاة، ط٢، ١٩٨٩، ص ٦١٦ .

(١١٣) ديوان ابن الرومي، ص ١٤٧٨ .

(١١٤) المجذوب، المصدر السابق، ج٤ / ص ٦١٧ .

(١١٥) ديوان ابن الرومي، ص ٧٠٤ .

[١١٦] مناهج جامعة المدينة العالمية، البلاغة ١ – البيان والبديع كود المادة: LARB4093)، بكالوريوس، جامعة المدينة العالمية، ٢٠٢٠، ص ١٣٢ .

[١١٧] حبنكة الميداني الدمشقي، عبد الرحمن بن حسن (١٤٢٥هـ)، البلاغة العربية، ج٢، دمشق: دار القلم – بيروت: الدار الشامية، ط١، ١٩٩٦، ص ١٦٢ .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

١. الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور (٨٥٢هـ)، المستطرف في كل فن مستطرف، بيروت: عالم الكتب، ١٩٩٨.

٢. ابن الرومي (٢٨٣هـ)، ديوان ابن الرومي، تحقيق: حسين نصّار، القاهرة: مطبعة دار الكتب والوثائق القومية – مركز تحقيق التراث، ط٣، ٢٠٠٣.

٣. ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، جمال الدين (٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي – دار الكتب، ١٩٨٧.

٤. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (٣٩٥هـ)، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت: دار الفكر، ١٩٧٩.

٥. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين (٧١١هـ)، لسان العرب، بيروت: دار صادر، ط٣، ١٩٩٤.

٦. البركتي، محمد عميم الإحسان المجددي (١٠٤٠هـ)، التعريفات الفقهية، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣.

٧. البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب (٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد وذيوله، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٦.

٨. التونجي، محمد (معاصر)، المعجم المفصل في الأدب، بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢، ١٩٩٩.

٩. الجارم، علي (١٣٧٨هـ) وأمين، مصطفى (١٤١٨هـ)، البلاغة الواضحة في البيان والمعاني والبديع ويليه دليل البلاغة الواضحة، تحقيق: قاسم النوري، دمشق: دار الفجر، ط١، ٢٠١٤.

١٠. الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن (٤٧١هـ)، أسرار البلاغة، قراءة وتعليق: محمود محمد شاكر، القاهرة – جدة: مطبعة المدني – دار المدني، ١٩٣٥.

١١. الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن (٤٧١هـ)، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠١.

١٢. الجرجاني، علي بن محمد الشريف (٨١٦هـ)، التعريفات، ضبط وصحح جماعة من العلماء بإشراف الناشر، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٢.

١٣. الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (٥٩٧هـ)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٢.

١٤. الجوهري الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد (٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت: دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٨٧.

١٥. حبنكة الميداني الدمشقي، عبد الرحمن بن حسن (١٤٢٥هـ)، البلاغة العربية، ، دمشق: دار القلم – بيروت: الدار الشامية، ط١، ١٩٩٦.

١٦. الحصري القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن علي (٤٥٣هـ)، زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق: يوسف علي طويل، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧.
١٧. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد (٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دمشق – بيروت: دار القلم، ١٩٩١.
١٨. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد (٥٠٢هـ)، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط١، ٢٠٠٠.
١٩. السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي الخوارزمي الحنفي، أبو يعقوب (٦٢٦هـ)، مفتاح العلوم، ضبطه وعلق عليه: نعيم زرزور، بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢، ١٩٨٧.
٢٠. شوقي ضيف، أحمد شوقي عبد السلام (١٤٢٦هـ)، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، القاهرة: دار المعارف، ط١٢، ٢٠٠٦.
٢١. شوقي ضيف، أحمد شوقي عبد السلام (١٤٢٦هـ)، تاريخ الأدب العربي، القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٥.
٢٢. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (٣٩٥هـ)، الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، القاهرة: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٩٨.
٢٣. الفراهيدي، الخليل بن أحمد (١٧٠هـ)، العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٤.
٢٤. المجذوب، عبد الله بن الطيب بن عبد الله (ت: ١٣١٣)، المرشد إلى فهم أشعار العرب، ، الكويت: دار الآثار الإسلامية – وزارة الإعلام الصفاة، ط٢، ١٩٨٩.
٢٥. المسعودي، علي بن الحسين (٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، دمشق: دار الفكر، ١٩٧٣.
٢٦. الهاشمي، أحمد، البلاغة العربية: دراسة في الجناس والوزن والإيقاع الصوتي، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٠.

ثانياً: المراجع

١)البحوث والرسائل الجامعية

١.عطية، عبد الغفار عبد العزيز عبد الغفار، الذات والآخر في شعر ابن الرومي: دراسة تحليلية، مجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود، العدد ٣٦، الإصدار الثالث، ٢٠٢٣.
٢.مناهج جامعة المدينة العالمية (معاصر)، البلاغة ١ – البيان والبديع (كود المادة: LARB4093)، بكالوريوس، جامعة المدينة العالمية، ٢٠٢٠.
٣.حسين، محمد سعيد، الصورة الفنية في شعر ابن الرومي، القاهرة: كلية دار العلوم – جامعة القاهرة، ١٩٩٣.

٢) الكتب المطبوعة

١. الجناجي، حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرازق، من قضايا البلاغة والنقد عند عبد القادر الجرجاني، القاهرة: مكتبة الشباب.
٢. العقاد، عباس محمود (١٣٨٤هـ)، ابن الرومي حياته من شعره، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢.
٣. عوني، حامد (معاصر)، المنهاج الواضح للبلاغة، القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث، ٢٠١٧.
٤. فروخ، عمر (١٤٠٧هـ)، تاريخ الأدب العربي، بيروت: دار العلم للملايين، ط٣، ١٩٨٥.

٥. ناظم رشيد (معاصر)، الأدب العربي في العصر العباسي، الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر – جامعة الموصل، ١٩٨٩.

List of Sources and References

First: Sources

1.Al-Abshihi, Shihab al-Din Muhammad ibn Ahmad ibn Mansur (852 AH), Al-Mustatraf fi Kul Fann Mustatraf, Beirut: Alam al-Kutub, 1998.
2.Ibn al-Rumi (283 AH), Diwan Ibn al-Rumi, edited by Hussein Nassar, Cairo: Dar al-Kutub wal-Adawiya al-Qawmiyya - Center for Heritage Research, 3rd ed., 2003.
3.Ibn Taghri Bardi, Yusuf ibn Taghri Bardi ibn Abdullah al-Dhahiri al-Hanafi, Jamal al-Din (874 AH), The Shining Stars in the Kings of Egypt and Cairo, Cairo, Ministry of Culture and National Guidance - Dar al-Kutub, 1987.
4.Ibn Faris, Ahmad ibn Faris ibn Zakariya al-Qazwini al-Razi (395 AH), Maqayis al-Lughah, edited by Abd al-Salam Muhammad Harun, Beirut: Dar al-Fikr, 1979.
5.Ibn Manzur, Muhammad ibn Makram ibn Ali, Abu al-Fadl Jamal al-Din (711 AH), Lisan al-Arab, Beirut: Dar Sadir, 3rd ed. 1994.
6.Al-Barakati, Muhammad Ameem Al-Ihsan Al-Mujaddidi (1040 AH), Jurisprudential Definitions, Beirut: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyyah, 2003.
7.Al-Baghdadi, Abu Bakr Ahmad ibn Ali ibn Thabit Al-Khatib (463 AH), History of Baghdad and its Appendices, Study and Investigation: Mustafa Abdul-Qader Atta, Beirut: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyyah, 1996.
8.Al-Tunji, Muhammad (contemporary), The Detailed Dictionary of Literature, Beirut: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyyah, 2nd ed., 1999.
9.Al-Jarim, Ali (1378 AH) and Amin, Mustafa (1418 AH), Clear Eloquence in Rhetoric, Meanings, and Badi', Followed by a Guide to Clear Eloquence, Edited by Qasim Al-Nouri, Damascus: Dar Al-Fajr, 1st ed., 2014.
10.Al-Jurjani, Abd Al-Qahir ibn Abd Al-Rahman (471 AH), Secrets of Eloquence, Edited and Commented by Mahmoud Muhammad Shaker, Cairo - Jeddah: Al-Madani Press - Dar Al-Madani 1935.
11.Al-Jurjani, Abd al-Qahir ibn Abd al-Rahman (d. 471 AH), Evidence of the Miracle of the Science of Semantics, edited by Abd al-Hamid Handawi, Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1st ed., 2001.
12.Al-Jurjani, Ali ibn Muhammad al-Sharif (816 AH), Definitions, edited and corrected by a group of scholars under the supervision of the publisher, Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1982.
13.Al-Jawzi, Jamal al-Din Abu al-Faraj Abd al-Rahman ibn Ali (d. 597 AH), Al-Muntazam fi Tarikh al-Umam wa al-Muluk, edited by Muhammad Abd al-Qadir Atta and Mustafa Abd al-Qadir Atta, Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1992.
14.Al-Jawhari al-Farabi, Abu Nasr Ismail ibn Hammad (d. 393 AH), Al-Sihah, the Crown of Language and the Correct Arabic, edited by Ahmad Abd al-Ghafur Attar, Beirut: Dar al-Ilm lil-Malayin, 4th ed., 1987.
15.Habanka al-Maydani al-Dimashqi, Abd al-Rahman ibn Hasan (1425 AH), Arabic Rhetoric, Damascus: Dar Al-Qalam - Beirut: Dar Al-Shamiya, 1st ed., 1996.
16.Al-Husri Al-Qayrawani, Abu Ishaq Ibrahim ibn Ali (d. 453 AH), The Flowers of Literature and the Fruit of Minds, edited by Yusuf Ali Tawil, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, 1997.
17.Al-Raghib Al-Isfahani, Al-Hussein ibn Muhammad (d. 502 AH), The Vocabulary of the Unusual Words in the Qur'an, edited by Safwan Adnan Al-Dawudi, Damascus - Beirut: Dar Al-Qalam, 1991.
18.Al-Raghib Al-Isfahani, Al-Hussein ibn Muhammad (d. 502 AH), Lectures of the Writers and Dialogues of Poets and Eloquent Speakers, Beirut: Dar Al-Arqam ibn Abi Al-Arqam Company, 1st ed., 2000.

19.Al-Sakaki, Yusuf ibn Abi Bakr ibn Muhammad ibn Ali Al-Khwarizmi Al-Hanafi, Abu Yaqub (d. 626 AH), The Key to the Sciences, edited and annotated by Na'im Zarzur, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, 2nd ed. 1987.
20.Shawqi Dayf, Ahmad Shawqi Abd al-Salam (1426 AH), Art and its Schools in Arabic Poetry, Cairo: Dar al-Maaref, 12th ed., 2006.
21.Shawqi Dayf, Ahmad Shawqi Abd al-Salam (1426 AH), History of Arabic Literature, Cairo: Dar al-Maaref, 1995
22.Al-Askari, Abu Hilal al-Hasan ibn Abdullah ibn Sahl ibn Sa'id ibn Yahya ibn Mahran (395 AH), Linguistic Differences, edited by Muhammad Ibrahim Salim, Cairo: Dar al-Ilm wa al-Thaqafa for Publishing and Distribution, 1998.
23.Al-Farahidi, Al-Khalil ibn Ahmad (170 AH), Al-Ayn, edited by Mahdi al-Makhzoumi and Ibrahim al-Samarra'i, Beirut: Dar and Library of al-Hilal, 1984.
24.Al-Majdhub, Abdullah ibn al-Tayyib ibn Abdullah (d. 1313), A Guide to Understanding Arab Poetry, Kuwait: Dar al-Athar al-Islamiyyah - Ministry of Information, Safat, 2nd ed. 1989.
25.Al-Masoudi, Ali ibn al-Husayn (d. 346 AH), Meadows of Gold and Mines of Gems, Damascus: Dar al-Fikr, 1973.
26.Al-Hashemi, Ahmad, Arabic Rhetoric: A Study of Alliteration, Meter, and Vocal Rhythm, Beirut: Dar al-Fikr, 1990.

Second: References

1) Research and University Theses

1.Attia, Abd al-Ghaffar Abd al-Aziz Abd al-Ghaffar, The Self and the Other in the Poetry of Ibn al-Rumi: An Analytical Study, Journal of the Faculty of Arabic Language, Itay al-Barud, Issue 36, Third Issue, 2023.
2.Curricula of the International City University (Contemporary), Rhetoric 1 - Rhetoric and Poetics (Course Code: LARB4093), Bachelor's Degree, International City University, 2020.
3.Hussein, Muhammad Sa'id, The Artistic Image in the Poetry of Ibn al-Rumi, Cairo: Faculty of Dar al-Ulum, Cairo University, 1993.

2) Printed Books

1.Al-Janaji, Hasan ibn Ismail ibn Hasan ibn Abd al-Razzaq, Issues of Rhetoric and Criticism in the Works of Abdul Qadir al-Jurjani, Cairo: Maktaba al-Shabab.
2.Al-Aqqad, Abbas Mahmoud (1384 AH), Ibn al-Rumi: His Life from His Poetry, Cairo: Hindawi Foundation for Education and Culture, 2012.
3.Awni, Hamid (contemporary), The Clear Method of Rhetoric, Cairo: Al-Azhar Library for Heritage, 2017.
4.Farroukh, Omar (1407 AH), History of Arabic Literature, Beirut: Dar al-Ilm Lil-Malayin, 3rd ed., 1985.
5.Nazim Rashid (contemporary), Arabic Literature in the Abbasid Era, Mosul: Dar al-Kutub for Printing and Publishing – University of Mosul, 1989.

مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ٢٠٢٦ المجلد ١٦ / العدد ١